١٠
قصص قصيرة عالمية

تأليف

أناتول فرانس ومكسيم جوركي وآخرون

تقديم وتحرير

د. رياض محمود

الكتاب: ١٠ قصص قصيرة عالمية
الكاتب: أناتول فرانس ومكسيم جوركي وآخرون
تقديم وتحرير : د. رياض محمود
الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)
٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

١٠ قصص قصيرة عالمية / أناتول فرانس ومكسيم جوركي وآخرون,
تقديم وتحرير: د. رياض محمود
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٣٤ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٦ – ٠١١ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ١٧٩٣١ / ٢٠٢٠

١٠
قصص قصيرة عالمية

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

إن أبسط تعريف ممكن للقصة القصيرة يقول بأنها جنس سردي قصير، يتمحور حول وحدة معنوية صغيرة، ويعتمد الحكائية والتكثيف والمفارقة، ويستثمر الطاقة الفعلية للغة ليُعبِّر عن الأحداث الحاسمة، ويمكن له أن يستثمر ما يُناسبه من تقنيات السرد في الأجناس الأخرى.

ويكشف هذا التعريف عن سر بقاء هذا الجنس الأدبي بل وازدهاره، فالسرد القصصي فى تصاعد كمي وكيفي برغم ما قد يعترض طريقه ومبدعيه من مزالق وعقبات، وبرغم الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية العاصفة، وتطور وسائط الاتصال المختلفة وهيمنتها على فضاءات التواصل الإنسانى، بل ربما كانت تلك العوامل هى "سر البقاء" أو "قبلة حياة" متجددة للقصة القصيرة خلاصة لتجارب حياتية من الواقع، تمتزج بخيال الأديب، لتخرج دفقة شعورية فائرة، كل منهما يثرى الآخر، القصة القصيرة والواقع المعيش، ومن ثم لا مجال للقول بأفول القصة القصيرة، ما بقى الواقع والحياة، لأنها ببساطة جزء من

تفاصيل اللوحة الكبرى أى "الحياة".

القصة القصيرة، ومنذ نشأتها كانت استجابة فنية، فى المقام الأول، لحاجة إبداعية ملحّة. فقد عجزت الرواية والقصة الطويلة _ وقد سبقا القصة القصيرة في الظهور بنحو مائة وخمسين سنة _ عن التعبير عن المواقف العرضية، ذات الدلالة، التى تغمر حياتنا اليومية، وتطالب المبدع بحقها فى الظهور ونيل الاعتراف الفنى والأدبى بأثرها الكبير، الذى لا يلحظه أحد، إذا ما اكتفى برؤية العين البشرية العادية المجردة. وأهم ما يميز القصة القصيرة، إنما هو قدرتها على رصد التفاصيل الصغيرة، ووضعها تحت مجهر الإبداع الذى يمكنه تثبيت اللحظة، موضوع القصة، والاقتراب منها بأدوات الأديب شديدة الحساسية لاستخلاص الدلالة المخفية بين طيات الواقع اليومى المزدحم.

والمبدأ العام الذى ينبغى أن نستند إليه فى تحليلنا للظواهر الفنية والأدبية هو أن الفنون تتطور ولا تموت. فسيظل للشعر دوره، وللقصة دورها، وللمسرحية دورها، مهما اختلفت الظروف وتغيرت الأزمان.

وبهذا المعنى ستظل القصة القصيرة حية، وسيظل دورها مطلوباً، رغم ازدهار الرواية، وبزوغ نجم القصة القصيرة جداً.

إن فن القصة القصيرة لا يُنتج في فراغ، وارتباطه بالسياق الاجتماعي الاقتصادي مسألة جلية، ليس من زاوية التقاطه لأفكار وموضوعات ومضامين فقط، بل أيضا ما يتعلق بإبداعه أصلا، حيث يتحدد مدى أو مستوى الإقدام عليه، والإحجام عنه. فالثابت مثلا أن هذا الفن قد انتعش في أوروبا حين راجت الدوريات الثقافية، وكانت سخية في منح مكافآت للكتاب عن قصصهم، فأقبلوا على كتابتها إقبالا شديدا، لسد احتياجهم إلى بعض المال، وحين تساقطت هذه الدوريات تباعا تراجع حجم إنتاج هذا اللون الأدبي البديع، لكنه لم يصل أبدا إلى نقطة الصفر.

لهذا ظلت القصة القصيرة استجابة لطلب لا ينقطع، وهذه الوظيفة لا أظن أنها ستنقضي أبدًا، ومن ثم يصبح من العبث أن تتحدث النخبة المثقفة عن تراجع فن أدبي يقبل عليه الناس ويصنعونه ويبدعونه ويتداولونه بالطرق التقليدية، وعلاقة الوجه للوجه، أو عبر المسارات الإلكترونية الجبارة التي وسعت المشاركة وأعطتها سرعة فائقة، بشكل لم يسبق له مثيل.

فالأدباء الكبار الذين تتابع إنتاجهم الروائي، لا تزال القصة القصيرة تمثل لديهم فنًا بديعًا لا يمكن هجرانه، وتلك حقيقة قديمة، ليست ابنة اللحظة ولا نتاجا للقرن الجديد، بل تعود إلى

عهود وعقود ماضية.

لهذا نعمد إلى انتقاء عدد من المجموعات القصصية المميزة التي صدرت منذ نصف قرن أو ما يزيد ، لتكون بمثابة ذاكرة للفن القصصي فنتيحها بين يدى قارىء القصة القصيرة ومحبها ودارسها، فالنشر بالنسبة لنا ليس مسألة عشوائية ، بل هو في الأساس وسيلة لتحقيق هدف تثقيفى وتنويرى يتطلب منا أن ندقق في اختياراتنا لما نعيد نشره.

وتضم هذه المجموعة القصصية " ١٠ قصص قصيرة عالمية " وهي من عيون التراث القصصي، ليس فقط لسبق نشرها قبل عقود طويلة، وإنما لأنها ضمت عشر قصص قصار لعشرة كتاب عالميين، كلهم برعوا في فن الرواية، وكلهم أهتموا بأن يكون لهم رصيدهم في فن القصة القصيرة.

والكتاب العشرة ينتمون للعديد من الدول الأوروبية ، فهناك الروسي والفرنسي، جنبا إلى جنب البريطاني والألمانى والإسباني، فضلا عن البولندى والمجرى .. وهكذا ، لذلك تعتبر هذه المجموعة من القصص القصيرة خير مثال لما كانت عليه القصة القصيرة كفن أدبي – على الأقل في القارة الأوروبية التي ينتمى لها كتاب القصص العشرة – خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، ولعل تلك

المجايلة بين كتاب هذه المجموعة من القصص، والظرف الخاص الذي مر به العالم في تلك الفترة.

واليوم وبعد عقود طوال من ترجمة هذه القصص وجمعها بين دفتي كتاب واحد، وهو بالطبع أمر يلى بسنوات عملية كتابة ونشر القصص نفسها في لغاتها الأصلية، يتبين لنا أن بعض كتابها لم يعودوا من المشهورين، فربما لا يعرف القارىء اليوم من بين أصحاب القصص العشرة إلا الفرنسي أناتول فرانس والروسي مكسيم جوركي، وهذا يضيف للكتاب قيمة تاريخية إذ يضع يدي القارىء على حقيقة أدبية وسنة كونية في ذات الوقت، وخلاصتها أن حركة الإبداع كحركة البشر في صعود وهبوط دائمين، وأن معتلى القمة اليوم قد يتركها في غد ليتبوأها غيره، وذلك لا يعني انتفاء أهليته لتبوء القمة، بل يؤكد على سيرورة الحياة وتغيرها الدائم.

***

القارىء لهذه المجموعة سيلمح تشابهات بين كتابها وبين موضوعات قصصها، فرضها اتفاق وجودهم وإبداعهم خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، وكان لذلك أثره العابر للحدود وللثقافات، فهذه التشابهات لا تنفي اختلاف ثقافات كتابها

المنتمين إلى عشر دول.

فمثلا يبدأ الكتاب بقصة " مأساة امرأة " للكاتب الإسباني رامون كالاسار، وكما يوحي عنوانها تحكي عن زوجة شابة هي "دونا روزينا " تزوجت من شاب هو ألفونسو، وكانت تغمرها أحلام الصبا ، وكان الفونسو هو فتى الأحلام لكن لشد ما تبدل وأحاله الزواج رحلا آخر. فتصفه قائلة : "يسعل ويرتعش كشيخ هرم، ولما ينقض على زواجه برزوينا عام واحد اقترنت به وملء نفسها الرغبة في الحياة والسعادة، وسرعان ما أصبحت ممرضة له".

لذلك تميل إلى صديق الزوج، وتحاول استمالته وتفكر بالتخلص من الزوج بعدم اتباع تعليمات الطبيب وبالعبث في أدويته، فلما يقابل الصديق رغبتها بالصدود تعود إلى رشدها وتعتني بالزوج، فيستعيد صحته وتعيش معه سعيدة وقد اكتشفت خطأها، هنا تحدث المفارقة فصديق الزوج يحاول التغرير بها لتكون عشيقة له في وجود زوجها، هو يريدها خليلة وليست زوجة، فترفض وتصر على الوفاء لزوجها فتنقلب الآية وتنعكس الأوضاع، ويخطط الصديق لإهلاك صحة صديقه، ويفلح الصديق فيموت الزوج، ويسعى الصديق إلى الأرملة ظنا أنه أزاح الزوج من طريقه، فيجدها لجأت إلى الدير، فقد ودعت الحياة وقررت أن

تكون راهبة. وهكذا ظلت وفية للزوج بعد وفاته مع أنها في لحظة ضعف سابقة كانت قد خططت لخيانته والتخلص منه، فمحنتها غيرت نظرتها إلى كل الأمور وبالتالي غيرت خياراتها.

وفي قصه "شهيدة الخيال" للكاتب المجري هنريك رالف ، نلتقى بمدام فاندا وهي امرأة تشبه في مرحلتها العمرية وفي صفاتها النفسية دونا روزينا الإسبانية في القصة الأولى ، لكن نهايتها تختلف، فمن سوء حظها أنها استمرأت الخيانة، وعاشت ملذاتها لفترة، فصديق الزوج بعدما استجاب لغوايتها وأقام علاقة آثمة معها لفترة، ملها ونفر منها وواجهها بحقيقة أمرها، فدخلت حجرة زوجها وغلقت الأبواب، ثم فتحت درج المكتب واختطفت مسدسا صغيرًا، ودون تريث أو تأمل أو تفكير، أطلقت النار فخرت صريعة مضرجة بدمائها!

فقد اختارت أيضا أن تودع الحياة، لكن بشكل مختلف أن تنتحر لا أن تدخل الدير. ومثلها قررت جروترود في قصة "العاشقة المفتونة" للكاتب الألماني جوزيف فون مولر أن تنتحر تكفيرا عن خيانتها لزوجها الوفي الكريم.. وهو نفس مصير مدام إيفون في قصة "الانقلاب" للكاتب البولندى انطون سيكورسكي.

أيضا نورا زوجة العامل كارل في قصة "بطولة أم" للكاتب

النمسوي ستيفان برونشتاين، ماتت منتحرة، لكنها لم تنتحر للتكفير عن خطيئة ارتكبتها، وإنما لأن موتها يدفع النقابة لإيواء ابنائها وتوفير المسكن والطعام لهم وهو الأمر الذي عجزت عن توفيره في حياتها رغم شقائها في العمل، لذلك وصف الكاتب موتها بأنه بطولة أم.

أما "فاتكة" في قصة "حلم ماهو" للكاتب البوسني المسلم ز. تشورو فيتن، فلم تقع في الغواية في الواقع، وإنما زوجها هو من رآها في الحلم تخونه لانصرافه عنها، فأقبل عليها وأسعدها حتى لا يتحقق الحلم، وهي بدورها بادلته حبا بحب، ومثلهم مدام ماريا بطلة قصة "السارقة " للكاتب الروماني أنطون مورينو، وهي لا تخون الزوج ولكن تسرقه لتلقنه درسا يدفعه لأن يفيق ويغير أوضاعه، فلا يركن إلى ثروته ويحاول أن يقوم بعمل ما يفيده.

وهكذا تعبر كل قصة بطريقتها ، ووفق رؤية كل كاتب ، وبالطبع تلك الرؤية تتأثر بثقافة الكاتب وبظروف المكان الذي يعيش فيه، وتلقي الضوء على مأساة الإنسان الأوروبي في فترة ما بين الحربين، فكلهم مأزوم، والمرأة دائما تتحمل وزر الأزمة، فهي إما تسقط في بئر الخيانة، فتضطر إلى الانتحار، وإما تحافظ على شرفها ووفائها حتى الموت شهيدة، وفي كل الأحوال تدفع حياتها

ثمنا لبؤس واقعها. فكأن هذه القصص جميعا قصة واحدة مكتوبة بوجهات نظر مختلفة، أو تنويعات متعددة على ذات اللحن، أو كأن القصص كلها مرايا تعكس نفس الصورة لكن من زوايا مختلفة. وهذا يناسب تماما فن القصة القصيرة، وهذا ما جعل فرانك اكونور ينفي صفة البطولة عن الشخصية في القصة القصيرة لا بسبب تأزمها الفردي وإنما بسبب هامشيتها على أرض الواقع لتغدو ذاتا لا تتحمل أن تتحلى بالطموح والفاعلية .

أما أهم قصص المجموعة فهي القصة الأخيرة، "طوبي للبسطاء " للكاتب الفرنسي القدير أناتول فرانس، وتحكي قصة برنابا وهو رجل فرنسي كان يعمل بهلوانا ثم التقي صدفة بأحد الرهبان فأقنعه بدخول الدير، وهناك شعر أنه أقل من الآخرين، فهو لا يمتلك شيئا ذا قيمة يمكن أن يتقدم به للعذراء، فاستسلم للحزن فترة ثم اقنع نفسه بأن التقرب للعذراء يكون بما يعرف وما يستطيع تقديمه، فكان ينفرد بنفسه في الهيكل ليقدم ألعابا بهلوانية للعذراء، ولما اكتشف أمره رماه الرهبان بالكفر، أو الجنون، لكن العذراء برأته بأن تحركت ومسحت عن جبينه العرق فخر رئيس الدير راكعا وهو يقول "طوبي للبسطاء لأنهم يرون الله"..

ذلك فضلا عن قصة "في ليلة عاصفة" للكاتب الروسي

مكسيم جوركي، وكما طرح أناتول فرانس في قصته سؤال الإيمان يطرح هنا جوركي سؤال الفن، فبعد أن فرغ من كتابة قصة عن موت شحاذ فقير وزوجته في برد الشتاء، واستراح لما فعل ونام فإذا بشخصيات قصصه تقلق نومه وتحاكمه، وتسأله : كيف تريد أن تملأ عاطفة الرحمة قلوب الناس بقصصك الخيالية، في حين أن مظاهر الشقاء والبؤس التي يرونها كل يوم لم تستطع أن تبدل نفوسهم؟ فإذا كانت الحقيقة الفاجعة الحية لا تؤثر فيهم فهل تظن الخيال يغير من طبيعتهم؟

د. رياض محمود

مأساة امرأة

للكاتب الإسباني/ رامون كالاسار

أهذا هو الزوج الذي كانت "دونا روزينا" تحلم به أيام شبابها، وتفكر فيه وهي تشهد حفلات مصارعة الثيران، وتعيش من أجله، وتفاخر به أترابها، وتنتظر تحقيق السعادة على يديه؟

أهذا هو "الفونسو" الساحر، صاحب الشعر الأسود المموج، والبشرة السمراء، والعينين السوداوين البراقتين، والبدن المليء، والمنكب العريض، والساعد المفتول؟

لشد ما تبدل وأحاله الزواج رجلا آخر.. أم هي حياة العزوبية التي قضاها في الملذات، استفاقت بغتة وجرت خلفها الضعف والمرض، ثم شرعت تنتقم منه، وتدمر حياته، لقد شحب لونه، وغارت عيناه، وكسا المرض صفحة وجهه صفرة قاتمة كتلك التي تبدو في وجوه المسلولين.

إنه يشكو ألما في كليتيه، وفي معدته، وآلاما مبرحة في مفاصله، وسواء أشوهد جالسا أم سائراً أم ممداً على المقعد المستطيل ، فهو الرجل الواهن الخائر القوى الذي اعتصرت الحياة

ربيعه، ثم لفظته، وألقيت به في حضن الزوجة هيكلا نخراً، إنه الآن مريض طريح الفراش. يسعل ويرتعش كشيخ هرم، ولما ينقض على زواجه برزوينا عام واحد اقترنت به وملء نفسها الرغبة في الحياة والسعادة، وسرعان ما أصبحت ممرضة له!

وها هو ذا الدواء، وها هي ذي الحجرة المظلمة التي يرقد فيها الفونسو، لم تغادرها روزينا منذ ثلاثة أشهر إلا لتختلس النوم اختلاسا في مخدعها الضيق الخانق الشبيه بقبر!

ثلاثة اشهر حرمت فيها روزينا الراحة والسعادة، ثلاثة أشهر أشعرتها بأن الفونسو خدعها وقدم إليها جسما فانيا وروحا هامدة، مقابل الشباب والبراءة والجمال والبكارة التي حملتها إليه! فهو تزوجها ليغلق كتاب حياته، وهي تزوجته لتبدأ النظر في هذا الكتاب، والحق أنها عاشت قرب أبويها حياة قروية محدودة الأفق، فلما تزوجت رأت الدنيا، وتطلعت إلى ما تتطلع إليه كل فتاة، ولكن الشقاء كان يتربص بها، فسجنت في بيت استحال إلى مستشفى وسط مدريد الزاخرة بشتى ألوان المرح واللهو والسرور، فزوجها اليوم جلادها وهي في هذا المنزل فريسه، هو يسعل ويبصق وتساوره الحمى فيهذي، وهي واقفة تجاهه تحدق إليه تارة وتنظر إلى المرآة البعيدة تارة أخرى.

هذه هي روزينا.. وذاك هو الفونسو فهل بين هذين المخلوقين أية رابطة، وكيف اجتمعا تحت سقف واحد ؟ إنها تحاول.. تريد أن تعيش، لقد ركب الشيطان رأسها، وأثار حواسها، وأيقظ مطالب بدنها، وألقى في روعها أن زوجها لن يشفى، ثم زين لها في لحظة من تلك اللحظات التي يستسلم فيها المرء لأحلامه، أن هناك حبا آخر وحياة أخرى ووسيلة مأمونة للخلاص!

وأصاخت روزينا السمع لذلك النداء السري المتصاعد من صميم حواسها الظمأى، وابتسمت للشيطان، وانسلت في هذه الساعة المتأخرة من الليل، ودخلت غرفة زوجها وأخذت كعادتها تبدل في الأرقام، في درجات الحرارة التي يجب أن تدون بدقة وانتظام في الكشف الذي يبني عليه الطبيب علاجه، والواقع أن روزينا كانت لا تكتفي بهذا العمل ، بل كانت تفسد علاج زوجها ، ولا تعطيه الدواء في مواقيته، وتزيد كمياته في بعض الأحيان وتنقصها أحيانا أخرى، وتلوح للمريض بالطعام المحرم عليه، ثم تدفع إليه بالطعام مقدرة أن الغذاء قد يقويه ويعاونه على مكافحة المرض!

وهكذا أردت روزينا أن تقتل زوجها دون ارتكاب جريمة واضحة المعالم تفضحها وتهدم مستقبلها وتحول بينها وبين الاقتران

بحبيبها ارماندو صديق زوجها والشاب الأوحد الذي دخل بيتها منذ أصبحت امرأة الفونسو!

وكان الفونسو يغط في نومه، والصفرة القاتمة المنفرة تغمر محياه، فتنهدت روزينا، وعضت على شفتها السفلى، وارتمت على مقعد بجوار فراشه وأطلقت لخواطرها العنان.. ألم يكن في مقدروها أن تحب وتهنأ دون أن تسلك هذا المسلك المحفوف بالمخاطر، دون أن تمضي في هذا الطريق، دون أن تحاول التخلص من زوجها بقتله؟

وتمثل لها ارماندو بعينيه الناعستين، وشبابه الغض وذراعه القوية الخليقة بأن تضم امرأة، فارتعشت وألقت على المريض نظرة مشفقة ثم ألقت بكشف الحرارة جانباً وغادرت الحجرة.

ولم تذق روزينا في تلك الليلة طعم النوم. خيل إليها أنها قد نجحت في التغرير بالطبيب، وأن الموت وشيك الانقضاض عليه وإنقاذها منه، فارتاحت نفسها واستولى عليها شبه فرح جنوني ولم تستطع لفرط حبها ارماندو كتمان هذا الفرح وكتمان الحقيقة عنه، فقعدت عزمها على أن تصارحه بكل شيء صباح الغد وعندئذ ران الكرى على عينيها واستطاعت أن تنام قبيل الفجر.

***

وكان ارماندو يحب روزينا بقدر ما يشفق على صديقه الفونسو ،فلما صارحته روزينا بما أقدمت عليه، استنكره، وخفف من زياراته كأنما هو خشى أن تفتضح الجريمة يوما فيصيبه رشاشها وكان الجبن يومض في عينيه وهو يتكلم، فأحست روزينا أن الرجلين متشابهان، فزوجها ضعيف أمام المرض وحبيبها ضعيف أمام الحياة، بل لقد خيل إليها أن زوجها قد يكون أصلب عزما من ارماندو، وأنه لو كان في موقف حبيبها ما فعل فعله، فقطبت حاجبها ونهضت متثاقلة ورافقت ارماندو حتى الباب وقد ملأت نفسها عاطفة غريبة شعرت بها لأول مرة، فقد صغر في عينها، احتقرته احتقاراً صامتا، ثم بدلت خطتها نحو زوجها، وأقبلت عليه، واهتمت بعلاجه بضعة أسابيع، ولما جاء ارماندو ذات يوم لعيادته، وجده سليما معافى، وروزينا جالسة بجواره متهللة الوجه تتحدث وتضحك كأنما الحياة ردت إليها فلم تعد تبحث عن شيء أو تفكر في شيء!

تجاه هذا المشهد تغيرت نفس ارمادنو تغيراً فجائيا، نسي إخلاصه لصديقه، ولم يعد يتبرم بأن يشاطره المرأة التي يحبها رجل آخر، أكل الحسد قلبه، فانحط احساسه وتبلدت فضيلته، وبعد أن كان يتأبى يخشى الرذيلة، وينزع إلى الحب المطلق الخالص،

تاقت نفسه إلى محاولة اتخذا روزينا خليلته له!

اعتقد الفونسو أن زوجته كانت السبب في شفائه، وأن الفضل في عودته إلى الحياة، يرجع إلى عنايتها به وسهرها عليه، فأحبها وأغدق عليها من آيات عرفانه بالجميل، ما ألمسها حقيقة نفس زوجها، وأشاع في كيانها المضطرب عاطفة الندم التي استحالت إلى رغبة عميقة في الحب فهذه السعادة المتبادلة هي التي سعى ارماندو لتسميمها، إنها تحبه الآن، حبا مفاجئا أنساها الماضي تحبه لأنه بات صحيح الجسم سليما قويا.. وإذن فلتؤخذ في نفس الشرك، وليعد الفونسو مريضا، فترتد روزينا إلى ارماندوا ، ليس غير المرض قوة ترد روزينا إليه وتلقيها في مثل لمح الطرف بين أحضانه..! ثم.. ثم هو صديق الفونسو، صديقه الحميم، أحب الناس إليه وأقربهم إلى نفسه. ففي وسعه استخدام هذه الصداقة لنيل غرضه والوصول إلى مبتغاه.

وهكذا انتفع ارماندو بإغضاء روزينا وتجاوزها عن الماضي وعول على إيقاظ عوامل المرض في جسم الفونسو، وشرع يخرج برفقته كل يوم تقريبا، ويتنقل به في أماكن اللهو البرئ وفي ضواحي مدريد حيث الطبيعة صافية ساحرة، ثم تدرج به إلى الأندية وصالات الرقص الليلية، ثم عرفه إلى بعض الغانيات من صديقاته،

ثم زين له العودة إلى معاقرة الخمر، والسهر الطويل، وما زال به يفسد خلقه وينهك بدنه ويلوح له بالملذات على اعتبار أنها حق له بعد طول المرض والحرمان حتى عاودت الفونسو آلام معدته وأوجاع كليتيه، فتنبهت روزينا واستشعرت الخطر وأدركت بسليقتها أن الجريمة التي كانت تود ارتكابها بالأمس، أقدم عليها اليوم ارماندو ولكن من طريق آخر..

ذعرت المرأة ولفتت أنظار زوجها إلى ما يتهدده، فلما هزأ منها واستخف بها، لم تتردد لحظة وأوصدت بابها في وجه ارماندو ،وفرضت على زوجها قطع كل صلة به، ولكن الرجل كان قد اعتاد السهر، وألف معاقرة الخمر، واستقر به مطافه الليلي على غانية عرفت بإرشاد ارماندو كيف تلهب غرائزه وتبتز ماله وتستنفد البقية الباقية من عصارة قواه!

وجاهدت روزينا لإنقاذ زوجها ولكن على غير جدوى. كان يغافلها ويمضي إلى صديقه، ويخيرها بين قبول هذه الحياة وبين الطلاق!

وظلت تجاهد مستخدمة سحر أنوثتها، وطيبة قلبها، وتوقد ذهنها، غير أن الفونسو تمادى وأسلم قياده لصديقه واتخذ من بيته شبه فندق يأوي إليه ساعة النوم فقط ، فاسودت الدنيا في عين

روزينا ولكنها مع ذلك لم تجسر على اتباع نداء فطرتها وإصابة ارماندو في الصميم، كانت تخاف أن يصاب زوجها نفسه فتنعكس الآية، غير أنها وقد أبصرت الفونسو ذات ليلة يدخل البيت ممسكا كليته بيده. يتلوى ويصبح ويجأر من فرط الألم، ثم يرتمي على فراشه خائر القوى، لم تستطع كبح جماح عواطفها، فصارحت زوجها بأن ارماندو لم يزين له الخمر والسهر والنساء إلا ليوقعه بين براثن المرض مرة أخرى ويجعل من زوجته عشيقة له..

واعترفت روزينا بكل شيء،لم تجد روزينا لانقاذ زوجها من مخالب صديقه غير هذه الوسيلة التي دفعها إليها انقياد زوجها الأعمى لارماندو ولكن هذا الاعتراف المباغت أفضى إلى عكس ما تقصد. فقد كان ألفونسو يحمل لصديقه أخلص حب وأصدق ود ولماضي امرأته أبلغ تقدير وأعمق ذكرى، فلما تشوهت في نظره لاذ بالعزلة والصمت، واستحوذ عليه القنوط الممزوج بالحسرة والاشمئزاز، فلم يجد عزاء إلا في الرذيلة التي راضه عليها صديقه، فكان لا يكاد يحس شيئا من القوة حتى يتحامل على نفسه ويترك البيت ويغشى إحدى الحانات ويعاقر الخمر حتى يفقد صوابه ويفقد الاحساس بالعالم.

وكان قد تجنب الالتقاء بارماندو، ولكن شاء القدر أن يلتقيا

ذات مساء في الطريق المؤدي إلى الحان التي اعتاد الزوج أن يخلو بنفسه فيها. فلم تكد عين ارماندوا تقع عليه، حتى أسرع وحياة باشتياق، واستفسر عن صحته. فاضطرب الفونسو أول الأمر وتلعثم، ثم أشاح بوجهه وهم بالمسير، غير أنه عند ما استوقفه الصديق وحاول أن يتأبط ذراعه غلى الدم في عروقه وجمحت به أعصابه، فانهال عليه بكلتا يديه ضربا ولكما وهو ينعته بأحقر الصفات وذهل ارماندو، واستشعر ما وقع، فلم يستطع إلا الفرار دون أن ينبس بكلمة، أما الفونسو فقد هرع إلى الحان متداعي البدن وقد أحس ألماً شديداً في قلبه مصحوبا بخفقان متعاقب يكاد يخنقه، فطفق يصب في الخمر دون وعي، حتى إذا ما حاول النهوض شعر كأن قلبه يكاد يشب من صدره، فصرخ صرخة هائلة وتمايل على نفسه ثم سقط على الأرض جثة بلا حراك.

وانتظر ارماندو مساء اليوم لتشييع الجنازة، ثم ذهب لتعزية روزينا، فلما طرق الباب لم يجبه أحد، فبهت واستفسر الجيران، فقالوا له إن دونا روزينا قد ودعت الحياة وذهبت إلى الدير!

شهيدة الخيال

للكاتب المجري/ هنريك رالف

لم تكن مدام فاندا من أولئك النساء اللواتي وهبتهن الطبيعة عقلا راجحا، بل كانت امرأة حادة المزاج سريعة الانفعال، تفتنها مظاهر الحياة، وقد اشتهرت بين صديقاتها بالأفكار الجريئة والعواطف المشبوبة، وكان المثل الأعلى في نظر فاندا هو الحب، كانت تعتقد أن لا خير في الحياة دون حب، ولا سبيل إلا بتحقيق حب عظيم حارف في دائرة الزواج، والحق أن فاندا كانت تحب الحب في حرارة وحماسة وانقاد، ولكنها كانت تحب الحب كعاطفة وهمية خيالية مجردة، كلما صادقها في الحياة ممثلة في رجل وكلما استمتعت بها ونعمت بروائعها، تطلعت إلى عاطفة أشد تأججا ، وإلى حب أوفر قوة، وهكذا ظلت فاندا تتنقل من حب إلى حب باحثة عن الحب الكامل المطلق ، حتى خيل إليها أنها قد وجدته ممثلا في شخص موظف كبير يدعى المسيو جاك ريمسكي، وكانت فاندا مخلوقا رقيقا لطيفا، أشقر الشعر أزرق العينين دقيق الشفتين، ينسكب عليه فيض من الحيوية الناضرة يحببه إلى القلوب ويخضع

له العقول والأرواح. فلما تعرف إليها جاك ريمسكي أعجب بخفتها وعذوبة حديثها ورونق شبابها وأسرع فطلب يدها.

وكان جاك شابا طويل القامة خيالي النظرة إلى الحياة، يقرض الشعر، ويجيد العزف على البيانو وينظم الشعر ويجيد الرسم، ويكثر من ارتياد المسارح ودور السينما. فخيل إلى فاندا أنه فنان في ثوب موظف، وأن ذهنه أعمق من أذهان الآخرين، وعواطفه أنبل من عواطفهم، واعتقدت أنه وحده الذي يستطيع أن يفهمها ويسعدها ويفتح أمامها أبواب الخيال والحلم ، ويبادلها في دائرة الزواج ذلك الحب الكامل المطلق المنشود ..

وشاءت الصدف أن يطلب جاك يدها في يوم ربيعي جميل وفي إحدى الحدائق العامة بجوار حوض ماء تمرح فيه الأسماك الملونة وعلى مقربة من "كشك الموسيقى" حيث كانت فرقة عسكرية تعزف ألحانا غرامية رائعة، وتحالفت هذه العوامل على اضرام نار العاطفة في فؤادها وإشعارها بأن القدر قد أجابها إلى سؤالها في النهاية، وكان أن عقد زواجها على حبيبها ريمسكي ، وشرعت فاندا تجرب التجربة العظيمة ألا وهي تحقيق مثلها الغرامي الأعلى في محيط الزواج ودائرة الأسرة وشمل الفرح حياتها ، وتملكها ضرب من الابتهاج استولى عليها وسرى في كل حركة من حركاتها وتجسم

في حبها الجارف المبرح لزوجها، أرادت أن تجعل من حياتها البيتية مسرحا للحب. وأرادت أن تقف حياتها على الحب، واغتبط جاك، فكان هو يعزف وهي تغني، وهو ينظم قصائد الشعر وهي تطالع روايات الغرام، وهو يرسم وهي تتحرك في البيت خفيفة الروح رشيقة الحركة تنتقل من غرفة إلى غرفة كالعصفور يتنقل من غصن إلى غصن.

وكان جاك لا يكاد يدخل البيت وقد انهكه تعب النهار، حتى تسرع فاندا فترتمي بين ذراعيه وتعانقه وتصب في أذنيه كل ما حشدته في ذهنها طول يومها من عبارات الحب المبتكرة.

وكان يهرع بعد العشاء إلى حجرة مكتبه ليعد بعض التقارير الخاصة بعمله الحكومي، تفتح فاندا باب الحجرة فجأة ثم تقتحم الحجرة غير حافلة، ثم تقصي الأوراق جانبا، وتحتضن زوجها، وتجلس على ركبتيه وتوسعه ضما وتقبيلا وهو يتوسل إليها أن تتركه لنفسه ولو ساعة واحدة..

وبدأت فاندا تغار.. تغار من لا شيء. وكانت تحرم على زوجها الخروج إلا بصحبتها، ولا تطيق رؤيته يتحدث إلى امرأة ، ولا تسمح له باستقبال سيدة إلا في حضرتها ولا تدع فرصة تمر إلا وسألته فيها عمن صادف من الصديقات في الخارج، ولما كان

يتجهم وينفعل كانت فاندا تفتن في استرضائه فيشعر جاك أن الحب أثقل وطأة على نفسه من تلك الغيرة الطائشة..

ولشدة ولع فاندا بالحب أهملت شئون بيتها، وزوجها، فكان جاك يبحث عن قمصانه في المكان المعد لها فلا يجدها، ويبحث عن أوراق عمله فيجدها نقلتها من مكانها، ويركض في البيت ملتمسًا فرشاة يسرح بها شعره، فيرى الأشياء قد بعثرت وأهملت، فتثور ثائرته ويهم بالصياح، فتضحك فاندا وتطيب خاطره وتجيئه بما يريد ثم تعده بترتيب البيت، وهي تحتضنه وتقبله ولا تنفك تردد أن حبه قد تمكن منها وأنه لو كان منصفا ما عاتبها على هذا الإهمال الذي هو في الحقيقة أبلغ دليل على صدق الحب.

وهكذا شاعت الفوضى في البيت واضطربت ميزانيته وطمع الخدم فيه، وأصبح من المستحيل على جاك المسكين أن يخلو بنفسه ويشعر برجولته ويستمتع بحريته ،وكان يتوسل إلى فاندا أن تلطف من حدة أعصابها، وتهبط من أبراج أحلامها، وتخفف من ثوران عواطفها، وتنظر إلى الواقع. ولكنها كانت تستنكر منه هذا النصح وتتهمه بنقص الحب وفتور العاطفة وجفاف الروح، ثم تغضب وتلوي عنه وتدخل مخدعها وتظل منطرحة على فراشها تهمهم وتدمدم وتبكي كالأطفال ولم يكن جاك يكره مظاهر الحب،

بل لم يكن يكره من امرأته أن تغار عليه، وإنما كان يكره إسرافها في الحب وإسرافها في الغيرة ،وإسرافها في إرادة تكريس الحياة بأسرها لعاطفة معينة واخضاع العشق والهوى ، وكان جاك في صميم نفسه ميالا على الخيال، أثر في تكوين شخصيته حبه الفنون، ففرح أول الأمر بنزوات فاندا ووجد لذة فيها، ثم غض الطرف عن إسرافها، ثم صبر واحتمل وحاول أن يوفق بين مطالب الحب ومطالب العمل، بين واجب القلب وواجب العقل، ولكنه كان ضعيفا، وكانت فاندا أقوى منه فتغلبت عليه واستحوذت على مشاعره وأجهزت على البقية الباقية من إرادته، فاستفاق ذات يوم وإذا به يستمرئ لذة الكسل ويهمل العمل ويهب نفسه لعاطفة الحب وبدأ يتباطأ في انجاز عمله، ويسرف في طلب الأجازات، ويتمارض، ويغادر مكتبه قبل الميعاد ليسعد بالجلوس إلى امرأته ، وفرحت فاندا بهذا الانقلاب وختم الحب على بصرها فلم تعد تفكر إلا في سعادتها المنبعثة من قلب ملؤه الأنانية وإذ ذاك حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد رقي جميع زملاء جاك وزيدت رواتبهم واستبعد اسمه من كشف الترقيات، ثم استدعاه ذات يوم رئيسه وأبلغه أنه سوف يفصل، إذا استمر على استخفافه بالعمل.

عندئذ أفاق جاك وعاوده الشعور بإرادته ،فاستجمع قواه وتحفز وعقد العزم على التحرر من سلطان امرأته وشرع يزجرها ويتبرم بسلوكها ويفرض عليها التوسط في الإحساس، والاعتدال في الحب، ولكن فاندا وقد ألفت الحياة في شبه جنون مطرد، تنكرت لزوجها، واصطنعت الدلال والصد اعتقادًا منها أن هذا هو السبيل لاسترداد سلطانها على زوجها.

وأدرك جاك ما ترمي إليه فلم يحفل بها وانصرف إلى عمله، فثارت فاندا وعز عليها أن تهمل، فجعلت تثير المنازعات وتعكر صفو جاك وتحيل بيته إلى جحيم، ولكنه ظل هادئا محتملا يعلل النفس بأن ثباته سوف يخضعها، ويردها آخر الأمر إلى الطريق السوى!

ولكن كيف يمكن أن تعيش فاندا بلا حب، وهي تتغذى من نار الحب ويجب أن يكون الحب نارا دائمة الاضطرام ، لتستطيع فاندا أن تشعر بحياتها دائمة النشاط فاختلطت الفضائل والرذائل في عينيها وجمحت بها أعصابها وبدأت تبحث عن عشيق، وأدركت بغريزتها أن لابد لها من رجل يعبد الفنون ويشتغل بها ويقف حياته عليها. فهو وحده الذي يستطيع أن يفهم الحب ويقدر قيمته ويرى في المرأة مهبط وحي، وكان لزوجها صديق يدعى جرهاردت

أسود العينين مجعد الشعر، أحرز شهرة واسعة في تأليف القصص التمثيلية وفي نقد معارض الصور وحفلات الموسيقى فمالت إليه، وبعد أن كانت تكتفي بمشاهدة مسرحياته ومطالعة بحوثه، تقربت إليه، وبالغت في إطراء فنه وعبقريته. فأحب فيها روح الفتاة العذراء ممثلة في امرأة ناضجة الحسن مكتملة الأنوثة..

هذا التناقض كان سر جاذبية فاندا ، وكان العامل الأكبر في تقويض صرح حياتها ولفرط ما كانت حاقدة على زوجها، لم تمعن النظر في مسلكها، ولم تفكر في عقبى طيشها، وعقدت مع جرهاردت صلة الهوى المحرم مختارة، وانطلقت تجرب تجربة الحب الثانية، اقتحمت حياته الهادئة واستقرت فيها وملأتها حركة وضجيجا. صرفته عن العمل. باعدت بينه وبين أصدقائه. أوشكت أن تصيب ذهنه بالعقم وتقضى على مجده وشهرته ولكن جرهاردت كان روائيا ومفكرًا ،جمعت شخصيته بين اتقاد الخيال واتقاد العقل. وسرعان ما فطن إلى حقيقة أخلاق فاندا وأدرك أنه لو انساق في تيارها فسيجود بحياته في سبيل امرأة، وسرعان ما أفاق هو الآخر من غشيته، ولكنه التزم خطة غريبة كانت أشد وقعا في نفسها من الخطة التي اتبعها زوجها.

أخذ جرهاردت يهزأ بفاندا ويتهكم بخيالاتها وأحلامها،

ويعيرها بقصر ذهنها وفقر ثقافتها وعجزها عن فهم حقائق الحياة وادراك الحد الطبيعي الذي يجب أن تقف عنده كل عاطفة ولاسيما عاطفة الحب، فبهتت وعراها شبه ذهول، ولم تستطع أن تتصور أن الرجل الذي يسخر منها هذه السخرية اللاذعة يمكن أن يكون قد أحبها وباتت تعتقد أن جرهاردت خدعها وغرر بها. فاسودت الدنيا في عينيها وأبغضت الرجال جميعا، وتمكنت منها حسرة أليمة ممزقة إذ أبصرت نفسها بعد أن خدعت زوجها ولوثت شرفها، وحيدة شريدة منبوذة لم تحقق من آمالها شيئا ولم تفز من أحلامها بشيء!

وعندئذ فكرت في قطع كل صلة لها بعشيقها والانقطاع لخدمة زوجها الوفي، ولكن الحياة في صحبة أديب وفنان مشهور كانت مع ذلك أحب إليها وأقرب إلى نفسها وأوثق صلة بجوهر طبيعتها، فآثرت أن تنفصل عن زوجها وتطلق منه وتعيش مع جرهاردت زوجة أو خليلة ..

غير أن هاردرت الذي كان قد ضجر منها وسئم خلطتها وبرم بأخلاقها وتاق إلى تجديد حياته وعواطفه، نصح لها في أدب بالعودة إلى زوجها وبيتها، فاخترقت الإهانة قلب فاندا كطعنة سكين، وسدت الحياة في وجهها، واستحوذ عليها يأس فظيع،

فغادرت في ذلك اليوم دار عشيقها، وأسرعت إلى بيتها وقد جن جنونها، وهناك دخلت حجرة زوجها وغلقت الأبواب، ثم فتحت درج المكتب واختطفت مسدسا صغيرًا، ودون تريث أو تأمل أو تفكير، أطلقت النار فخرت صريعة مضرجة بدمائها!

في ليلة عاصفة

للكاتب الروسي/ مكسيم جوركي

كنت قد فرغت من وضع قصة تقع حوادثها في أحد أيام الشتاء. وكنت قد ألقيت القلم وجعلت أذرع الغرفة وأنا أفكر.. وكان الوقت ليلا. وفجأة شعرت بأن في الجو عاصفة تتجمع، وأن أصواتا غريبة تنبعث من الشارع. ولم أشك في أنها أصوات الجليد تحمله الريح وتقذف به جدران منزلي فاقتربت من النافذة ونظرت إلى الشارع، فألفيته مقفرا وسمعت الريح تصفر في جوانبه، وأبصرت الفانوس القائم في الزاوية تتأرجح شعلته وتكاد تختنق واستحوذ على حزن مفاجئ، فخلعت ثيابي واطفأت المصباح ،واستلقيت على فراشي وحاولت أن أنام وعندئذ نشط ذهني ،وطفقت أفكر فيما كتبت وفي معناه وفي قيمته الانسانية والفنية ،وكنت في تلك القصة التي وضعتها قد سردت حكاية غاية في البساطة. حكاية عجوز فقير أعمى وزوجته.

غادر الشيخ الاعمى قريته في صبيحة يوم عيد الميلاد، ورافقته زوجته، وانطلقا يضربان في الأرض الواسعة ويستجديان

بغية الحصول على بعض كسرات خبز أو بعض قطع النقود، يفرحان بها ويشتركان بواسطتها مع القرويين في الاحتفال بالعيد.. وكانا يعللان النفس بإمكان العودة إلى كوخهما قبل الغروب وقد امتلأت جيوبها بخيرات المحسنين، ولكن الأكف انقبضت عنهما وخيبة الأمل حزت في صدريهما، فآثرا العودة إلى الكوخ قبل أن يجن الليل ويشتد زئير العاصفة وتقدم الشحاذ الاعمى بخطى وئيدة تسوقه امرأته ، وقد أمسك بساعدها خشية أن يتعثر في الطريق .. وشيئا فشيئا اكفهرت السماء وتراكضت السحب واحتدمت العاصفة، وغاص الأعمى في قطع الجليد التي كانت تضربها الريح فتتطاير وتتناثر على وجهيهما، وكان الكوخ ما يزال بعيدا... فاستطرد الشحاذ وامرأته السير، والإعصار يدوى حولهما وريح تعصف بهما والبرد يخترق بدنيهما وأسنانهما تصطك وأياديهما ترتعش وخارت قوى المرأة فتثاقلت في مشيتها وكفت عن الكلام، فاستغرب الأعمى صمتها وقال:

-ألن نصل في الميعاد؟

طمأنته المرأة وعللته بقرب الوصول، ولم تشأ أن تصارحه بأن الليل قد خيم عليهما وأن الاعصار قد شوش الجو في

عينيها وأنها قد ضلت طريق الكوخ، وأحست بعد لحظة طويلة بيأس عميق ينتابها فلم تستطع الصمت وقالت:

– لقد ضللنا الطريق ولم يعد السير في مقدوري.. أريد ان أستريح..

–البرد شديد..

– أريد ان أستريح..

–قد يقتلنا البرد فندفن وسط الجليد!

–وماذا يهم؟.. ليست حياتنا من الجمال بحيث يمكن أن نأسف عليها..

فتنهد الأعمى وأذعن لمشيئة زوجته وجلسا على الأرض وأسند كل منهما ظهره إلى ظهر صاحبه فكانا أشبه بخرقة بالية كبيرة تعبث بها الريح،وغمرهما الجليد، وجعل يحز بدنيهما، فانطوت المرأة على نفسها وانكمشت واكتنفها الصمت. فصاح الأعمى قائلا:

– انهضي... هيا بنا..

ولكنها كانت قد نامت وجعلت تتمتم كلاما لا يفهم،

فحاول زوجها النهوض بها فخانته قواه، فصرخ:

– احذري البرد.. احذري الجليد..

ولما لم تجبه تولاه الذعر وطفق يصرخ قائلا:

– النجدة!

ولكنها ظلت صامته. فاستهول الاعمى سكونها وجعل يتحسسها بيد مجنونة وقد أخذ اليأس بمخنقه. وفي تلك اللحظة سمع دق الناقوس وتجاوب رنينه في الفضاء، فاختلج الشحاذ وصاح: –الناقوس يدق! انهضي.. سنتأخر عن الصلاة

ولكن المرأة كانت قد أرسلت النفس الأخيرة وذهبت إلى العالم الذي لا يرجع منه أحد.. فحاول الاعمى أن ينهض، غير أنه لم يستطع، فناضل غير أن الجليد كان أقوى منه، فأسلم أمره لله وأخذ يصلي ويقول:

–ارحمنا يا الله بعظيم واغفر لنا خطايانا وتقبلنا في ملكوتك فنحن بعض عبيدك المخلصين... واتجه بكل ما فيه من قوى نحو الله، وأرسل صلاته حارة خالصة، فخيل إليه وهو يصلي أن بصره قد تفتح فجأة وأنه يرى معبدا عظيما، وأن المسيح بنفسه

يتقدم إليه من وسط الهيكل ويقول: – ادخل... ادخل إلى معبدي. فقد آن لك أيها البائس أن تفرح!

فسرى الدم في عروق الأعمى وتحامل على نفسه ونهض ثم ارتمى على عتبة المعبد وبصره متجه إلى المسيح الذي كان يرمقه ويرمق زوجته المسكينة بنظرة ملؤها الشفقة ويبتسم!

وهكذا مات الشحاذ الأعمى وامرأته في أحد الحقول في يوم من أيام الشتاء العاصفة!

***

بعد أن استعدت في مخيلتي حوادث القصة ، وتساءلت عما إذا كانت ستحدث في نفوس قرائي ذلك الأثر الانساني المنشود، لاح لي أني قد أصبت الغرض منها ، فسررت من نفسي وحاولت أن أنام وكانت ساعتي تدق. وكانت العاصفة تشتد، وزجاج النافذة يهتز، وأغصان الشجر تصطفق، والريح تعوى، والصرخات تملأ فضاء الغرفة وتشيع في النفس القلق والرعب، وفجأة لمحت على مقربة من النافذة سحابة كثيفة، وخيل إلى أني أبصر من خلالها عيونا وأجسام بشرية تتحرك وتحدق إلى رأيت أطيافا عديدة، أطياف شيوخ وصبية ونساء،

فذهلت وحاولت أن أتعرف هذه الوجوه، ولاسيما وجه شيخ أعمى أمسك بزنار امرأة عجوز.. وفتحت عيني ما استطعت وتأملت تلك الأطياف وهتفت:

– من أنت؟

وشعرت بأني قد بدأت أفهم ، وحينئذ قال لي طيف شاحب المحيا متحشرج الصوت:

– أعرفتنا الآن؟.. نحن أبطال قصصك!.. نحن البؤساء والمحرومين والحزانى، الذين قصصت على الناس حكاياتنا وجعلتهم يلتذون بوصف آلامنا، فانظر إلينا وتذكر... سنمر أمامك واحدًا بعد الآخر.. هذا هو الصبي البائس وشقيقه، وقد جعلتهما يموتان تحت نافذة أحد القصور حيث كانت تسطع شجرة عيد الميلاد.. وهذه هي الأم المنكودة الحظ التي قضت نحبها قبل أن تحمل إلى أولادها هدايا العيد.. وهذا هو الرجل..

فحجبت وجهي بكلتا يدي ووضعت أصابعي في أذني وأشحت برأسي، ولكن عيني الشاردة أبصرت طيف الشحاذ الأعمى تجره امرأته العجوز وقدماه غائصتان في الجليد، فارتعدت وهممت بترك فراشي، ولكن العاصفة هدأت بعض

الشيء وتجمعت الاطياف وتراصت أمامي وتقدمت نحوي فصحت قائلا:

– يا إلهي. لم كل هذا؟ وما معنى كل هذا؟

فأجابني طيف لامع النظرة وضاح الجبين:

– أي شيطان دفع بك إلى كتابة تلك القصص وتصوير حياة هؤلاء المساكين؟ الحياة مفعمة بالألم، فلماذا تضاعف آلامها برسم الشقاء والاستعانة بخيالك لجعله أوقع اثرًا في النفوس؟ أتريد أن تقضي على البقية الباقية من قوة الاحتمال في صدور الناس، أم تريد أن تحرمهم الأمل في السعادة، أم أنت تبغضهم وتسعى لتسميم رغبتهم في الحياة؟..

استغرقني الوجوم ثم تأملت لحظة فيما قاله الطيف واستجمعت قواي وأجبت:

– يا طيف أحد أبطالي الحزانى ، أصدقك القول، أنا لم أقصد بتصوير البؤساء إلا الهاب عاطفة الرحمة والانسانية في قلوب أنت تعرف حق المعرفة ما هي عليه من قسوة .

ولم أكد أصمت حتى رأيت الاطياف تختلط وتتمازج

وتتحرك كأنها توشك أن تطير، وسمعت الأعصار يهدر ويصفر ويزمجر، وخيل إلى أن قهقهة مروعية تنبعث من الاطياف والاعصار معا، فتصبب العرق البارد من جبيني وصرخت:

– ما هذا؟

فأجابني الصوت:

– هي الأطياف تضحك!

– وممن تضحك؟

– منك أنت!

– ولماذا؟

– لأنك في الحق رجل ساذج! كيف تريد أن تلهب في قلوب الناس بقصصك الخيالية عاطفة الرحمة، في حين أن الحوادث الواقعية ومظاهر الشقاء والبؤس التي يرونها كل يوم لم تستطع أن تبدل نفوسهم وتلطف من قسوتها؟ فإذا كانت الحقيقة الفاجعة الحية لا تؤثر فيهم فهل تظن الخيال يغير من طبيعتهم؟...

فأحرجت ولم أدر ماذا يجب أن أقول. وكان في وسعي أن

أقول للطيف أن قوة الفن قد تفوق في التأثير قوة الواقع. ولكن هل أنا واثق من هذه النظرية؟.. وهل في مقدوري أن أؤكد أني قد أصلحت بفني نفس إنسان؟ لست متأكدا من شيء.. كنت حائرًا مضطربا ولذلك لم أتكلم بل نهضت من فراشي مسرعا وهرولت إلى مكتبي وتناولت الأوراق التي كتبت فيها قصة الشحاذ الأعمى ومزقتها ثم فتحت النافذة وألقيت بالأوراق في الفضاء.. وعندئذ تبددت الاطياف وانحلت واختفت، فعدت إلى فراشي وانسحق بدني تحت وطأة النعاس، ولم أستيقظ إلا عند مطلع الفجر مصدع الرأس ملئ النفوس بالوساوس والهموم..

السارقة

للكاتب الروماني/ أنطون مورينو

أجفلت مدام ماريا عندما أبصرت الباب يفتح ويدخل فجأة المسيو فردريك لامع العينين ،وقد جالت على شفتيه ابتسامة خفيفة ملؤها السخرية، وكانت جالسة على مقعد بجوار النافذة فهبت مذعورة بعد أن ضمت على صدرها طرفي غلالتها الفضفاضة البيضاء.

وظل الرجل واقفا لا يتحرك ، وظلت تتفرس فيه وصدرها يعلو ويهبط، وقد انعقد لسانها وسرت في بدنها قشعريرة باردة وأخيرًا ضحك المسيو فردريك وألقى بقبعته على المقعد. ثم اتجه صوب النافذة وتنفس طويلا. ثم عاد إلى ماريا وقال هادئا جادًا:

– علام كل هذا الرعب، وهل في مظهري ما يخيف؟ لقد انتهزت فرصة غياب زوجك وجئت أعرض عليك حلا فيه إنقاذكم جميعا..

وأطرق المسيو فردريك لحظة ،وأومضت عيناه كعادته كلما

عقد العزم على أمر فيه مصلحة له. ثم رفع رأسه وتبدلت ملامحه وشاع في تقاطيع وجهه ضوء غريب يفيض شفقة ورحمة ،ولكن مدام ماريا لم تكد تلمح هذا التغير حتى اشتد رعبها وتضاعف خفقان قلبها وتقهقرت حاجبة وجهها بكفيها فابتسم الرجل نصف ابتسامة وأردف قائلا:

– أية فائدة لك من هذه الحياة الشقية التي أرهقتك وقضت عليك بذل الحرمان الفظيع؟ زوجك اوكتاف بدد ثروته فساءت أخلاقه وفسدت طباعه واضطرب عقله. وهو يضطهدك ويقضي لياليه في الحانات ويجيئك آخر الليل سكرانا يصيح ويضرب ويحيل بيتك إلى جحيم ... هذه هي حياتك يا ماريا، فهل أنت قابلة بها وهل ودعت كبرياءك وتناسيت مجدك وأصبحت امرأة مفقودة الكرامة؟

فرمقته ماريا بنظرة نارية ورفعت ذراعها وأشارت إلى الباب وغمغمت في سكون قائلة:

– أخرج!

فحدق إليها فردريك وكظم غيظه وقال:

– لا أستحق منك هذه المعاملة. لقد أخلصت لك الود.

وعنيت بك أيام مرضك. وكنت أعودك كل يوم بينما كان زوجك يخدعك ويفر من البيت إلى أحضان عشيقته روزالند...

فامتقع وجه ماريا وغلى الدم في عروقها ولم تستطع الاحتفاظ بالصمت فقالت:

– ما قيمة إخلاصك إذا كنت تريد أن تتقاضى عليه أجرًا؟

فدنا منها بغتة وأمسك بذراعها وقال وهو يهدر:

– أنت السبب في هذا الحب الذي يعذبني ويعكر على صفو حياتي!

– أنا السبب؟

– نعم أنت! لماذا قربتني إليك؟.. لماذا جعلتني موضع سرك؟.. بل لماذا فتحت لي أبواب بيتك؟... فذهلت ماريا وقطبت حاجبيها وقالت:

– لأنك كنت أخلص صديق لزوجي!

ثم شمخت برأسها وأردفت قائلة:

– هل شجعتك يوما على مغازلتي؟ هل منيتك بشيء؟

فاضطرب فردريك وتخلص من مأزقه بأن قال:

– المهم هو ما اعتقدته أنه.. اعتقدت أنك ميزتني فاحببتك! ولابد أن أفوز بك.

فصرخت ماريا قائلة:

– لن أخون زوجي وابنتي!

فأغمض فردريك عينيه نصف اغمضاضة ثم فتحتهما فرف حاجباه واكفهرت سحنته، فارتعدت فرائص ماريا وغمغمت في شبه توسل قائلة:

– اخرج!..

فقهقه الرجل قهقهة عنيفة حادة ووضع ابهامه في فتحة كم صدريته وجعل يتمايل زهوًا وخيلاء، ثم انقبضت فجأة حوافي عينيه وتجهم وجهه وخطا نحو ماريا وقال وكأنه يهمس:

– زوجك أوكتاف ينتظرني!..

فتراجعت مذعورة وتمتمت قائلة:

– هو؟ كيف؟

فهز فردريك رأسه وابتسم واستطرد قائلا: – إنه الساعة في منزلي! – وبعد ! فأمسك مرة ثانية بذراعها وجذبها إليه في عنف وقال بصوت غائر أجش: – آخر قطعة أرض يملكها أوكتاف ستنزع ملكيتها غدًا.. ولا سبيل لإنقاذها إلا بدفع فوائد الدين المتأخرة على الأقل . فصعدت ماريا نفسا مستطيلا وغشى السواد بصرها، ولكن فردريك لم يحفل بها ومضى يقول:

– زوجك الآن في بيتي وسأنقذه إذا شئت.. سأقرضه المال الذي يريد دون فوائد واحتفظ لكم بالأرض التي هي آخر ما يملكه أوكتاف.. ففكري... وزني الأمور بميزان العقل.. وسأظل واقفا انتظر قرارك فعسى أن تقدري حبي وتضحيتي.

واستدار واتجه صوب النافذة وجعل يتلهى باللعب بسلسلة ساعته ويسرح أبصاره في الأفق البعيد، وأما ماريا فقد أحست كأن يدًا قوية تقبض على قلبها وتعتصره اعتصارًا. فجعلت تذرع الغرفة وتلهث وتهذي كمحمومة، ثم رمقت ظهر فردريك بنظرة حاقدة ملتهبة، ثم ضربت صدرها بقبضتها حسرة وكمدًا ،وهي تجيل نظرها في انحاء الغرفة مشرئبة العنق كغريق مشرف على التهلكة يبحث في اللجة الطاغية عن حطام، وجال بخاطرها في لحظة أن تهب نفسها لهذا الرجل وتستريح، ولكنها سرعان ما

تأبت عاودها القلق فتعاقبت أنفاسها وتصبب العرق البارد من جبينها وأوشكت أن تصاب بشبه إغماء، وإذا بصوت رقيق ينبعث من خارج الغرفة وتتجاوب اصداؤه في كيانها.

فهدأت بعض الشيء واستضاء وجهها وأسرعت ففتحت الباب وفردريك ينظر إليها مبهوتا ثم صاحت بإحدى خادمتها قائلة:

– جورجيت.. قولي لفكتوريا إني هنا! وكرت راجعة مقطبة الجبهة ومشت إلى فردريك، وقالت في سكون:

– لقد فكرت!

ثم أردفت قائلة وهي تلهث:

– اخرج!

فذهل الرجل وعض على شفتيه حنقا، ثم هز رأسه كمن يثق بالفوز النهائي، ثم اختطف قبعته، وفجأة شعرت ماريا كأن قوة غير منظورة تدفعها إلى طلب العزلة. فعدلت عن استقدام ابنتها فيكتوريا الآن وأعلنت الخادم برغبتها، ثم صعدت إلى الطابق الأعلى ودخلت مخدعها واستلقت على الفراش، ومضت تفكر في الكارثة التي توشك أن تنقض على بيتها:

كيف تنقذ الموقف ؟ وكيف تنجو من مخالب فردريك ؟ وكيف تشعر زوجها أوكتاف بانحطاطه وتلمسه عقبى سلوكه وتوقظ ضميره الراقد واحساسه المتبلد وعواطفه القاسية المتحجرة؟ لقد كان هو السبب فيما انتهت إليه حياتها من شقاء، كان هو السبب في إذلالها وانتهاك حرمة كرامتها ووقوف فردريك منها ذلك الموقف الزري الشائن الذي جعل منها سلعة للمساومة!

والآن ألا يمكن رد زوجها إلى طريق الصواب والهدى؟ أليس في وسعها ابتكار علاج تستأصل به شأفة غرائزه؟ أليس في مقدروها وهي المرأة القوية النبيلة العاقلة الشريفة، أن تطهره من رذائله، وتحرره من سلطان شهواته، وتكسر من شرة ميوله الشاذة وأهوائه الوضيعة المستنكرة؟...

يجب عليها أن تواجه أوكتاف بالواقع وتدنيه من الهاوية ،وتثير فيه كوامن حبه لابنته وتخيره بين القضاء على مستقبل فكتوريا وبين الارتداد العاجل إلى حياة الخير والفضيلة والجهاد والعمل

هذه فرصة لن تعوض ، فكيف تنتهزها ماريا؟ وكيف تفيد منها؟ وكيف تسخرها لمصلحة زوجها ومصلحة ابنتها ومصلحة

الأسرة؟ الحق ان الوسيلة جريئة وان في الاقدام عليها مغامرة قد تذهب آخر الامر بحياتها. ولكن ماذا يهم، ومتى كانت ماريا الشقية البائسة المنكودة الحظ تطمع في الحياة أو تعلل النفس بأمل أو سعادة؟ لا مفر من العمل. ولا مفر عن اقتناص الفرصة السانحة!

جالت هذه الخواطر في ذهن ماريا فنشطت أعصابها وتراكض الدم في عرض شراايينها وامتلأ قلبها عزما واردة وقوة غدًا.. نعم.. غدًا؟.. كلا.. أمجنونة هي؟.. في غد يكون قد فات الوقت!..

اليوم.. الليلة.. بعد منتصف الليل.. في تلك الهدأة السحرية حيث يموت البدن وتقر الأعصاب ويرف على البيت الفسيح جناح الصمت!..

أجل.. في هذه الليلة تغامر ماريا بمستقبل ابنتها في سبيل انقاذ زوجها وإنقاذ شرفها..

في هذه الليلة تقدم ماريا على أمر قد تكون فيه نعمة أو قد يتطور فيستحيل إلى نقمة!.. وإذن فلتغمض ماريا الآن عينيها الكليلتين ولتنم ساعة أو ساعتين ريثما يدنو موعد

الغداء..

ولكن ما هذا؟.. لقد خيم الصمت منذ الساعة على البيت.. لا شئ تسمع ولا همس.. أين هي فكتوريا؟.. كانت هنا؟.. خرجت؟.. ربما..

وخيل إلى ماريا أنها تسمع صوت باب الحديقة وهو يغلق، فوثبت من فراشها وأطلت من النافذة فأبصرت ابنتها فكتوريا يجتاز الشارع مرتدية فستانها الأحمر الجديد وتدخل باب البيت المجاور حيث يقيم حبيبها وخطيبها المعبود ادوارد..

تنفست ماريا الصعداء ، واحتواها الصمت وعادت الفكرة الثابتة تحتل مخيلتها وتغلى الدم في عروقها وتستحث أعصابها لاستعجال الغرض المنشود ولم تستطع المقاومة، وعلى حين فجأة تقدمت إلى مكتبها الصغير وفتحت أحد أدراجه وأخرجت منه مفتاحا، ثم أغلقت الدرج، ومشت إلى الباب وهي تترنح ولما ألفت نفسها في الدهليز الطويل تشجعت واستطردت السير حتى بلغت مخدع ابنتها فدخلته وكان صفاء العذارى يسود المخدع ويضفى عليه حلة ساطعة من نور. فارتعشت ماريا وأحجمت، ولكن خيال زوجها تمثل لها، وذكريات حبهما القديم استفاقت في ذهنها، فاتجهت من فورها صوب خزانة حديدية

صغيرة قامت في إحدى زوايا الحجرة، ومدت أصابعها القابضة على المفتاح وفتحت الخزانة في عناية ورفق وهي تلهث وتتلفت، وبالرغم منها تحركت يدها اليسرى وغابت في أعماق الخزانة ثم ارتدت ممسكة برزمة من الأوراق المالية ما كاد يقع عليها بصر ماريا حتى اختلجت وجمد الدم في عروقها وأخفت الأوراق بين ثدييها وأغلقت الخزانة، ثم استدرات وكرت راجعة بخطى وئيدة متزنة وقد قطبت حاجبيها وزايلها اضطرابها وارتسمت على وجهها الصلب إمارات العزم والتحدي.

***

وانقضت بضع ساعات وفيما كانت ماريا تهيئ البهو الكبير وتعاون الخدم على تنسيق المائدة، متوقعة قدوم ابنتها فكتوريا صحبة خطيبها ادوارد لتناول طعام الغداء، لمحت من شرفة البهو زوجها أوكتاف يجتاز الحديقة محدودب الظهر منسحقا تحت وطأة همه، ثم يصعد درجات السلم الخشبي المؤدي إلى مخدعه المجاور لمخدع ابنته فكتوريا. ولم تكد تبصره حتى أدركت أنه عاد خائبا وأن فرديرك أبى أن يقرضه المبلغ، فتعاقبت أنفاسها وتولتها رعدة وأوشكت أن تضعف، ولكنها سرعان ما تمالكت أعصابها، ومضت تنسق المائدة في هدوء وعدم اكتراث..

ودقت ساعة البهو الواحدة بعد الظهر، فاختلجت ماريا وهمت بالصعود إلى مخدع زوجها. وإنها لتتقدم نحو السلم الخشبي القائم في إحدى زوايا البهو، وإذا بها تتراجع وقد انقبض قلبها وامتقع لونها وعاودها الاضطراب، شاهدت زوجها يهبط الدرج مكفهر السحنة جاحظ العينين كمن به مس. فتقهقرت أيضا وظلت جامدة تحدق إليه ودنا منها اوكتاف وأمسك بذراعها وهزها هزًا عنيفا وهو يصيح قائلا وقد علا الزبد شدقيه:

– أين المال؟.. أين الثلاثمائة ألف فرنك؟

فأطرقت وانعقد لسانها. ولكن أوكتاف ضرب المائدة بقبضته وصرخ مرة أخرى:

– أين المال؟

فتشجعت وقالت وهي تحاول التخلص منه:

– ماذا تريد أن تصنع به؟

– أجيبي.. أين المال؟.. تكلمي.. من فتح الخزانة. ومن استولى على المبلغ، أنت ام ابنتك؟ وما السبب في اخفاء المبلغ اليوم وقد رأيته بالأمس في مكانه؟.. أجيبي..

وتحركت شفتا ماريا ولكنها قبل ان تنطق بكلمة فتح الباب ودخلت منه فيكتوريا. فانفض اوكتاف على ابنته وقال وقد اندلعت عيناه وتطاير منهما الشرر:

- الخزانة الحديدية فارغة!

فوجمت الفتاة وشرد بصرها وغمغمت تقول:

- فارغة؟

فأيقن اوكتاف أن فيكتوريا بريئة، وتحول لفوره نحو امرأته وقال:

- أين ذهب المال؟ تكلمي.. وعندئذ رفعت ماريا رأسها وطوت ذراعيها على صدرها في هدوء ثم قالت:

- أنا التي سرقته!

فذعرت فيكتوريا وجحظت عينا أوكتاف وقال:

- أنت؟

- هذا المال ليس ملكي ولا ملكك. أنه ملك ابنتي.. انه الرصيد التي اقتصدناه لها والتي لابد منها لادوارد كي يستطيع

أن يتزوج.. وأنت تعلم أن ابنتك تحب ادوارد وأنه مكبل بالديون التي عقدها بالرغم منه ليتمكن من تزويج شقيقته سيليفيا.. فلو أعطيتك هذا المال، تعذر على ادوارد وفاء ديونه واستحال عليه الاقتران بابنتي!.. فهل تصر على امتلاك المبلغ والتضحية بمستقبل ابنتك؟ فغفر اوكتاف فاه وجال ببصره في أنحاء الغرفة كمعتوه، ثم قال بصوت قلق كمن يستجدي المعونة:

– ولكن أرضنا.. آخر قطعة بقيت لنا.. ستنزع ملكيتها غدًا.. غدًا..

– أنت المسئول عما حل بنا وحينئذ لمعت عينا فكتوريا واستهولت ما يراد فصاحت وقد تعلقت بذراع أمها تقول:

– أنا أيضا شاركتكم في إدخار ذلك المبلغ. كنت أحرم نفسي الخروج من البيت وأقضي الليل ساهرة أفصل القبعات والقمصان وأدخر ما أربح، في حين كنت أنت.. لا تفكر في.. وتبدد البقية الباقية من ثروتك في الحانات!.. هذا المال مالي، بل هو ملك ادوارد!

فتمتمت ماريا قائلة:

– وهذا أيضا رأيي!

فنقل اوكتاف بصره فيهم ورف حاجباه وأحس كأن العالم موصد أبوابه في وجهه، فزفر زفرة حرى وتمثلت له حياة البؤس القاتمة المروعة التي لم يألفها، فقال باسطا ذراعيه كطفل يلتمس الرحمة:

– وكيف أعيش؟.. كيف اظهر أمام الناس؟ أين أذهب؟ فقالت فكتوريا في قسوة:

– اشتغل!

وأردفت ماريا قائلة:

– وأنا معك!

فقطب أوكتاف حاجبيه وشمخ برأسه وقال:

– أنا أشتغل؟... ما تعودت هذا .. أولى بي أن أنتحر!

وهدأ فجأة ثم استدار نحو الباب بخطى ثقيلة كأنه يجر نفسه جرًا. وإذ ذاك انخلع فؤاد ماريا واضطرم في صدرها حبها القديم وخشيت عاقبة ما فعلت، فأسرعت إليه وجذبته من ذراعه وصاحت:

– أوكتاف!.. إني لمتأهبة إذن لتضحية شرفي وعرضي إذ كان

ذلك ينقذك وإذا كنت تقبله!

فحمد أوكتاف والتفت ثم تطلع إليها مبهوتا وغمغم قائلا:

– ما معنى هذا؟

– معناه أن صديقك... فردريك... ساومني اليوم على عرضي، وكان مستعدًا لإمدادك بالمال لو أني طاوعته، ولكني أبيت موقنة بأنه سوف يردك خائبا، ولهذا سرقت.. سرقت المبلغ الذي كنت أعلم أنه آخر أمل لك والذي أعتقد أن ليس من حقك التصرف فيه. فأنت الآن بين أمرين: إما أن تنتهك بيدك حرمة رجولتك وتنقذ نفسك بإلقاء امرأتك بين أحضان سواك. وإما أن تسلم بالواقع فتدع المال لابنتك وتتحرر من الكسل والخمول وتجاهد وتشتغل!

فهز أوكتاف رأسه هزًا عنيفا وصرخ قائلا:

– أريد المبلغ!... لن أستطيع أن أعيش!..... تهاوى بغتة على نفسه وتقلصت شفتاه فسقط على مقعد وأجهش بالبكاء ثم قال:

–الموت... الموت أحب إلي!

وكانت صور الفقر والمهانة تعصفت به وتملأ خياله فلم يستطع أن يقاومها، ونهض كالمخبول، زائغ البصر، وتحت تأثير الأزمة الطارئة التي هبطت عليه، مشى إلى الشرفة، وغافل امرأته وابنته، وحاول أن يلقي بنفسه منها، ولكن فكتوريا كانت تراقبه فسبقته إليها وأمسكت به وجعلت تجذبه وهي تصيح بأمها قائلة:

– أعطيه النقود!.. ليأخذها!.. لا أريد أن أتزوج!.. لا أريد!.. لا أريد!.. وتملك الفتاة بدورها شبه جنون، واستحوذ عليها يأس مروع، فانطلقت تضرب صدرها بقبضتيها وتنتزع شعر رأسها، وتبكي وتنشج نشيجا متواصلا ، ثم تداعت قواها فجأة وارتخت أعضاؤها وانتابها دوار فشهقت شهقة طويلة، وارتمت بين ذراعي أمها شبه جثة هادمة، فذعرت ماريا واسودت الدنيا في عينيها وجعلت تصرخ قائلة:

–ستقتل ابنتي!.. ستقتل ابنتي!

فتراجع اوكتاف مبهوتا وهو يحدق إلى فكتوريا ثم أسرع إليها وتناولها في رفق من بين ذراعي أمها وحملها وهي تنتفض كطائر مذبوح، ثم أرقدها على مقعد مستطيل، ثم جاء بماء رش منه على وجهها، ثم أنشقها روائح عطرية منعشة، ثم أمسك

بيدها الرخوة الناعمة وجعل يربت عليها وهو يقول بصوت متلهف مرتعش خنقته الدموع:

– ابنتي.. فيكتوريا... أنظري إلي.. أنا والدك!

وظل جاثيا بالقرب منها لحظة طويلة وماريا ترقبه وترقبها. ولما هدأ بدن الفتاة واستقر السكون في أعضائها وفتحت عينيها الكليلتين وسرحت بصرها الشارد فيمن حولها، وثب اوكتاف في صدره من فرط الفرح وأشرق جبينه وتهلل محياه، فانحنى على ابنتي وأسر في أذنها هذه الكلمة وهو يلهث:

– سأشتغل!

وعندئذ تنهدت ماريا وارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة!

حلم ماهو

للكاتب البوسني / ز. تشورو فيتن

كان «ماهو» من أمهر موقدي المصابيح في بلدته، وكان يحب هذه المهنة التي ألفها منذ نعومة أظفاره، وقد أحب فاتكة ابنة الشيخ حسن أغا، وكانت «فاتكة» حسناء في العشرين من عمرها، دقيقة التقاطيع ذات شعر دهبي رائع، وحيوية فياضة، فطلب ماهو يدها إلى الشيخ حسن اغا فرضي به عريسا لابنته، واستقر رأيه على أن يتم عقد الزواج في مساء الغد.

ولم يستطع «ماهو» أن يخفى عن الناس فرحه العظيم بيوم غد، فكان دائم الضحك والثرثرة يخيل إليه أن ذراعه القوية ستحتضن عما قريب حورية فاتنة، وكان يعدو من جهة إلى أخرى، ويدور حول نفسه كالنحلة، وقد فقد اتزانه من فرط الفرح.

ولما أقبل الليل خارت قواه وران الكرى وأحس أنه في أشد الحاجة إلى النوم، ودخل حجرته الصغيرة، والحق أن الغرفة كانت بائسة رطبة الجدران مظلمة، فرمقها ماهو بنظرة، وابتسم لها فابتسمت له، وانطلق من فوره إلى وسادته البالية واستلقى عليها،

وعقد أصابعه تحت رأسه، وسرح بصره في السقف المنخفض وجعل يقول وهو يغمض جفنيه على حلمه الزاهر:

– نعم ستكون الحياة رائعة عندما تصبح فاتكة هنا..غدًا في مثل هذه الساعة تكون تلك الحورية لي، فترقد ها هنا بجواري وأعانقها وتعانقني.

وتقلب بالرغم منه ومد ذراعه وطوق العصا التي يوقد بها المصابيح وجعل يعانقها ويلثمها كأنما هو يعانق فاتكة بنفسها، وأخيرًا أفلتت منه خيالاته وغلبه النعاس ، فأغمض عينيه وغط غطيطا مزعجا وهو يضم العصا إلى قلبه، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة هانئة وعندئذ لاح له طيف المعلم ابيرو القهوجي، بعينيه الزرقاوين الجاحظتين ووجهه المغبر البنفسجي المستطيل الشبيه بالباذنجانة، فجزع ماهو وحملق في ايبرو فألفى عينيه تدوران وسمعه يصيح به قائلا:

– ماهو! احذر.. إنهم يختطفون منك فاتكة

وقف شعر رأسه رعبا وصاح:

– من ذا الذي تجاسر؟ ما اسمه؟ أجبني! فقال المعلم ابيرو وهو يرتجف: _ «هوسو» هو الذي اختطفها وهي الآن معه وقد ذهب

بها إلى داره.

ولم يعد في وسع ماهو أن يسمع شيئًا. وقعت هذه الكلمات على رأسه وقع المطارق، فزأر كالأسد الهائج وأمسك بالخنجر الكبير الذي خلفه له والده، والذي كان يحتفظ به دائما تحت وسادته وصرخ قائلا:

– لن يفوز بها ذلك الوغد! أنا أعرف أنها لا تحبني كما أحبها وأنها كانت على وشك أن تقترن بغيري، ولكني انتصرت أولا وسأنتصر آخرا، وسأسحق ذلك الوغد وأقتله في بيته وأدحرج رأسه عند قدمي كما لو كانت رأس ديك.

وكان «هوسو» مشهورًا عند أهل بلدته بقوة عضلاته وحدة طبعه وسوء خلقه، ولكن "ماهو" لم يضطرب ولم يتقهقر، بل فتل شاربيه وعض على خنجره بأسنانه واستجمع قواه وانطلق يعدو في الشارع كمجنون، وعندما أشرف على بيت "هوسو" استل خنجره من غمده وصاح قائلا:

_ أين أنت أيها الملعون؟ دافع عن نفسك وتهيأ لاستقبال موتك على يدي

ولما هم بدخول البيت فتحت فجأة إحدى نوافذه وأطلت

منها فاتكة الحسناء، ورمقت ماهو بنظرة ملؤها الاحتقار وقالت:

- أنت هو الملعون! أما "هوسو" فأنا أحبه. وأوثره عليك فأحس ماهو كأن قلبه يذوب في صدره، فشخص إلى عروسه لحظة ثم قال:

- لماذا ارتضيت الزواج مني إذن؟ أنت خائنة، أنت غادرة. فابتسمت فاتكة ولم تجب، ثم فتحت شفتيها وبصقت في اتجاه ماهو ثم اختفت. وظهر في مكانها شاربان كثيفان متهدلان تعلوها عينان براقتان، فأشهر ماهو خنجره، ولكن هوسو لوح بمسدسه في الفضاء وقال له:

- اذهب من حيث جئت، إنها لي.. أذهب وإلا جعلت رأسك مسكنا رصاصتي

فبهت ماهو وأحس أن القدر أقوى منه وأراد أن يكون مع ذلك بطلا شجاعا، فألقى بالخنجر من يده وتقدم خطوتين وكشف لعدوه عن صدره وقال:

- اضرب إذن! بما أنك انتزعت مني فاتكة! فانتزع حياتي أيضًا!.. أي معنى للحياة من دونها؟

فدارت عينا هوسو في محجريه وصوب المسدس إلى رأس ماهو

وقال: _ حسنا.. مكانك إذن! وشعر ماهو أن ساعته قد دنت فجعل يقول مخاطبا نفسه:

– سأموت من أجلها؟.. هل هي تستحق ذلك؟ هل هي حقا من الحور الطاهرات؟

وقبل أن يحرك هوسو أصبعه ويطلق الرصاص، انطوى ماهو على نفسه وانكمش ثم أطلق ساقيه للريح وجعل يعدو وسط المزارع والحقول،ويخترق الحدائق وهو يلهث ويستنجد معتقدًا أن هوسو يطارده ويوشك أن يضيق عليه السبل ليفتك به، وعندئذ أحس ماهو صدمه عنيفة أيقظته من نومه بغته ففتح عينيه مذعورًا وإذا به يبصر أمه واقفة بجواره تنهره وتصيح قائلة:

– كفى نوما.. لقد توافد المدعوون، فهيا استعد.. أنسيت أن اليوم يوم عرسك؟

فنهض ماهو وفرك عينيه بأصابعه ،ثم غسل وجهه ومشط شعره وتعطر وشرع يرتدي ثوبه الجديد. وكان يسرع في حركاته جهده ويحاول حصر ذهنه والتفكير في مدعويه. وفي السعادة العظيمة التي تنتظره، ولكن الرؤيا ظلت ماثلة في مخيلته تعكر عليه صفوه وتنذره بمستقبل مشئوم. فماذا يفعل وكيف يطرد عنه هذه الرؤيا؟ وأطرق لحظة ثم ارتعش ثم أشرق وجهه وقال:

– فاتكة لا تحبني كما أحبها!.. فلكي لا تخدعني غدًا يجب أن أحرص عليها، أن أتفانى في حبها، وهكذا لا تستطيع إلا أن تحبني!

وابتسم لفكرته وخرج لاستقبال مدعويه.

***

واقترنت فاتكة بماهو نزولا على إرادة والدها، وكانت تعتقد أن حظها في الحياة قد خاب، ولكنها سرعان ما شعرت بأن في زوجها ماهو من قوة الحب والتضحية ما يطوع لسلطانه أقسى امرأة، فتغيرت نظرتها إليه وبدأت تحبه وأحست فجأة تلك السعادة العميقة التي تنشدها كل امرأة ولم تعلم فاتكة أن الفضل الأكبر في سعادتها يرجع إلى حلم ماهو!

العاشقة المفتونة

للكاتب الألماني/ جوزيف فون مولر

لم يفهم «اريك» لماذا لا تحبه جرترود؟

كان شابا في مقتبل العمر، ناضر الوجه، وسيم المحيا، طيب القلب، سخيا كريما، ولا يعرف قلبه الطاهر النقي معنى الحقد ورغبة الانتقام، ولقد أحب جرترود بكل قوى شبابه المضطرم، فأخلص لها، ووقف حياته عليها، وودع ملذات الصبا جميعا وانصرف إليها، وجعل يغدق عليها من ماله وعطفه وحنانه ما دهش له هو نفسه وما شعر حياله بأنه إنسان أرقى وأنبل من الآخرين. أجل، أحس اريك أن هذا الحب ضاعف صفاته الطيبة وزاده إيثارا لمصلحة الغير على مصلحته الخاصة، وهذب روحه، ولكن أية فائدة من كل هذا؟..

كان اريك سيىء الحظ، كلما صفا قلبه، أحس أن جرترود تبتعد عنه وتنفر منه، كانت تعتبر الطيبة ضعفا، والبراءة غباء، والتجاوز عن الإساءة خنوثة، والأحجام عن مقابلة الشر بالشر دليلا على نقص في الرجولة، فاريك كان انسانا مثاليا، وجرترود

كانت امرأة عملية، بل كانت أنثى، أنثى بكل ما في هذه الكلمة من معاني الطمع والرغبة في تحدي الحياة والاستمتاع بها ، ولو على أنقاض الفضائل التي يؤمن بها السذج الطيبون من أشباه الرجال..

وكانت جرترود غانية مشهورة من غواني برلين، نشأت في وسط فقير من أسرة قروية، وتاقت نفسها إلى حياة الترف في المدن، ففرت إلى العاصمة حيث عاونها حسنها الرائع وذكاؤها العملي على تصيد قلوب الشبان الموسرين، فلما تعرف إليها اريك في إحدى صالات الرقص ذات ليلة، أحبها وعقد العزم على إنقاذها من البيئة التي تعيش فيها، ومن المهنة التي تمارسها بقوة حبه وقوة الطيبة الرائعة التي يحملها بين جنبيه!

ولم يجسر على الاقتران بها قبل أن يجرب أخلاقها ويمتحن سلوكها ، فاتخذها عشيقة له وشرع يبذل جهده في تبديل شخصيتها وجعلها أهلا لأن تكون آخر الأمر زوجة له، ورضيت به جرترود عشيقا لا لحبه ولا لطيبته، بل لثروته الكبيرة ومكانته الاجتماعية الممتازة، وكان اريك المثالي العاطفة، يأبى حبه العاصف المبرح إلا أن يجعل من جرترود الغانية سيدة فاضلة كاملة. فكان يغمرها عطفا وحنانا، ويظل الساعات الطوال

يحدثها في رفق وعذوبة عن مصير حياة التشرد والبغاء، وعن قيمة الإخلاص في الحب، وقيمة الولاء لرجل واحد، ولذة الحياة البيتية، ومتعة الأمومة التي خلقت للفوز بها كل امرأة .

وكانت جرترود تسمعه ،ولكنها كانت تكره من عشيقها هدوءه واستكانته وغرامه بالعزلة وولعه بحياة البيت، وهذا التناقض بين أخلاقه وأخلاقها، عكر صفو اريك وسامه العذاب ألوانا وأشعره بأن الحياة التي ينشدها مستحيلة التحقيق مع تلك المرأة التي كانت تغترف من ماله وتنفق بلا حساب وكانت لا تكلف نفسها عناء التقرب إليه إلا عندما تشعر بحاجتها إلى النقود، والغريب أن اريك كان متأهبا لاحتمال كل هذا لو أنها ظلت مخلصة له. ولكنها خانته على مشهد منه، خانته مع شاب من أصدقاء شقيقه يدعى «هوجو» في حفلة راقصة أقامها اريك ابتهاجا بعيد ميلادها.

أبصرها قبيل انتهاء الحفلة تتدثر بمعطفها وتنسل مع هوجو بين أشجار الحديقة ثم تغادر البيت وتفر برفقته وهي تعلم أن عشيقها واقف في الشرفة يرقبها ويشهد احتضار غرامه بملء عينيه!

ولم يحرك اريك ساكنا، لم يقتف أثرها، لم يسرع إليها، كتم

حبه في صدره، واحتمل الخيانة النكراء، وأبت عليه طيبته أن يفكر في الانتقام منها كما أبت عليه كبرياؤه أن يفكر في استردادها أو الثأر من عشيقها الجديد، وعاش اريك يحب جرترود كما أرادها أن تكون، يحب فيها الصورة المثالية التي تمنى لو استطاع أن يخلعها عليها فلم يوفقه في ذلك القدر المحتوم.

وعاشت جرترود في صحبة هوجو كما أرادت أن تعيش، وكان هوجو على نقيض اريك، أحبت فيه جرترود ولعه الجنوبي بالحياة، واسترساله في تلبية نداء غرائزه، أحبت فيه صورة منعكسة منها، بل أحبته لأنه كان شريراً بقدر ما كرهت اريك لأنه كان نبيلا طيبا!

وكان هوجو يعذبها فتتشبث به ،كان ينكل بها ويوسعها ضربا ولطما فتقبل يديه وقدميه شاكرة، وكان يجردها من حليها ونقودها فتهبه كل شئ عن طيبة خاطر ولا تشكو ولا تتبرم وكان كلما أسرف في التنكيل بها، تضاعف حبها له وإعجابها برجولته وشعورها بأن هذا الرجل القوي المستبد هو الذي يعرف كيف يحبها وهو الذي يستطيع أن يحميها!

وعلى مر الأيام ضاقت جرترود ذرعا باستبداد هوجو، وأبصرت المال الذي ادخرته يتسرب منها، وشعرت بأن الفاقة

تهددها على يد عشيقها، فتاقت نفسها إلى الدعة السكون في ظل الهوى الناضر الساذج البرئ، ففرت من بيت هوجو وعادت ذات مساء إلى اريك.

وكان هوجو قد زهد فيها واستنفد ما كان معها من نقود، وظل يستدين وينفق عن سعة وهو غير مكترث، فلما أحس أن عشيقته أصبحت تشكو الحاجة، وأن عجزه عن وفاء ديونه يوشك أن يؤدي به إلى السجن، صحا فجأة ولم يدر كيف يتخلص من مأزقه وأخيراً وبعد تفكير طويل خطر له أن يذهب فيطلب المعونة من غريمه اريك، وهو يدرك تمام الإدراك أن هذا هو الأمل الأخير وأن مستقبله أصبح ملك خصمه. ولكن هوجو كان على ثقة من حب اريك العظيم لجرترود ، وكان قد عقد النية على الأعراض عنها وقطع كل صلة بها وردها لأريك والإخلاص المطلق له إذا مد له يد المساعدة وأنقذه من ورطته..

لم ينظر اريك إلى كل هذا. أبصر نفسه حيال رجل شقي مطارد أحبته جرترود وسعدت معه، فمن أجل جرترود، أقرضه المال الذي يريد وسعى له حتى عينه في منصب صراف في أحد البنوك، واشترط اريك على هوجو كتمان هذه المساعدات عن جرترود، فذهل الشاب وتملكته الدهشة وأكبر في اريك خلاله

الرائعة وخجل من نفسه وعز عليه أن يمضي في خيانة الرجل الذي أحسن إليه فيظل محتفظا بالمرأة الوحيدة التي يحبها، فبدأ ينفذ خطته، ويقابل الجميل بالجميل، ويعرض عن جرترود ويفرط في تعذيبها كي تسأمه وتعود من تلقاء نفسها إلى اريك وهذا ما حدث.

واستقبل اريك جرترود أحسن استقبال، وعفا عن المرأة وتناسى خيانتها وخيل إليه أنه قد ينجح في هذه المرة في تبديل أخلاقها وجعلها الحبيبة الوفية ثم الزوجة الصالحة المبتغاة.

لكن تمادت جرترود في غيها وتمادى اريك في الاستسلام لها، فكانت تغرر به وتستنزف ما له وتنفق دون حساب وهو يسخو عليها ويعطيها، حتى استفاق ذات يوم وإذا بوكيل أعماله يصارحه بأن ثروته قد نضبت، وأن الإفلاس يهدده، وأنه لم يعد يملك سوى مبلغ خمسين ألف مارك أودعه الوكيل في البنك باسمه منذ أسبوع.

أفاق اريك من نشوته ووطن العزم على الاقتصاد دون أن يخبر جرترود بجلية الأمر، غير أنه لم يكد يرجع إلى تمثيل دور الواعظ حتى برمت به جرترود وهفت نفسها مرة ثانية إلى حب هوجو!

لم يستطع هوجو بعد إذ أنقذ من ورطته الأولى، وفاز بمنصب يحسد عليه، أن يحتفظ طويلا باستقامته. عاودته غرائزه كما عاودت جرترود، فسرعان ما ارتمى في حياة اللهو وسرعان ما أحس اضطراره لمد يده والعبث بالمال الذي ائتمنته عليه إدارة البنك. بدد مبلغا كبيراً على الخمر والميسر والنساء، فتنبه أحد زملائه إلى النقص الملحوظ في كشوفات الحساب، فلفت نظره إلى الخطر، ولما ألفاه يائسا مستسلما، وكان واقفا على صلته القديمة بجرترود، ذهب إليها من تلقاء نفسه والتمس منها إنقاذ صديقها وألح في الرجاء ذاكراً أن موعد جرد الخزانة السنوي قد أقبل، وقع هذا النبأ على جرترود وقع الصاعقة، وفي نفس الوقت الذي كان فيه هوجو حلم جرترود ، فلو فقدت هوجو فأية حياة تكون حياتها مع اريك، وأي ضجر ينتظرها، فهوجو هو نداء بدنها وهو رمز سعادتها وهو الرجل الوحيد الذي أحست أنها لم تحب سواه، ولم تكد تخلو بنفسها في البيت حتى أسرعت إلى مكتب اريك وانتزعت من أحد أدراجه دفتر الشيكات وكتبت شيكا بمبلغ أربعين ألف مارك وهو المبلغ الذي اختلسه وبدده هوجو، ثم فتحت درجا آخر وانتزعت منه بعض صور من خطابات كان كان قد أرسلها اريك إلى وكيل أعماله، ثم جعلت تنظر في توقيع عشيقها وتتأمله وتحاول تقليده. زورت

الإمضاء ووقعه على الشيك ونهضت من فورها فارتدت أجمل أثوابها ويممت وجهها شطر البنك، وكان يعرفها الموظفون فحيوها باحترام وصرفوا لها المبلغ، فدست الأوراق المالية في حقيبة يدها واتجهت صوب المنزل الذي يقطنه هوجو.

وعندما دخل هوجو حياها تحية متحفظة فاترة. ولكنها قامت إليه واحتضنته وجعلت وتقبله وتتحسس بيدها المرتعشتين بدنه، وهي تحدق إليه وقد اختنق صوتها وفاضت من عينيها الدموع وتملص الشاب منها ونحاها عنه ثم أمرها بالعودة حالا إلى منزل اريك، غير أنها تعلقت به، وفي صرخة نصر وابتهال فتحت حقيبتها وأخرجت رزمة الأوراق المالية وقدمتها إليه في ابتسامة ملتمسة. تراجع هوجو مستغربا وأخفى اضطرابه واستفسرها عما تقصد بهذا العمل، فلامته على إعراضه عنها، وعدم تفكيره فيها ساعة الشدة ، وأنبأته بما كان من زميله المخلص، وكيف ذهب إليها، وأطلعها على الحقيقة، وناشدها الغوث والنجدة وكانت تتكلم في حماسة العاشقة المفتونة المغامرة، والأوراق المالية ترتعش في يدها، وهوجو يرمقها وهو لا يكاد يصدق سمعه، وانقبض قلب الشاب وهاله أن تحصل جرترود بين يوم وليلة على كل هذا المبلغ، فجالت في ذهنه شتى

الخواطر، وتمثل اريك، وخشي أن تكون جرترود قد أفرطت في استغلال حبه وابتزت منه هذا المال ولذا تبرم هوجو بجرترود، وأبى قبول المبلغ، ولكنها بكت، وأقسمت أن هذا المال هو مالها وأنها كانت قد ادخرت جزءاً منه ثم أضافت إليه ما حصلت عليه من رهن مجوهراتها.

وأخيرا.. وبعد إلحاح شديد منها، ووعد قاطع بأنها لن تحاول استغلال هذه المساعدة في سبيل الاتصال ثانية به وخيانة اريك، أقنعته أن حبها الصادق القديم له، أصبح حباً عميقا نزيها، وأن هذا الحب هو الذي دفعها إلى الإسراع لنجدته، تأثر هوجو وقبل المبلغ، فأشرق محيا جرترود وطبعت على فمه قبلة محمومة، فأقصاها عنه في رفق وقبلها في جبينها وقادها حتى الباب وهو يردد عبارات الشكر.

وشاء القدر في نفس اليوم أن تكشف إدارة البنك الذي يعمل فيه هوجو، الفارق الهائل بين ما هو مدون في دفاتره وبين المال الذي في عهدته فأخفى المدير الأمر وأسرع فخاطب صديقه اريك بالتليفون وأبلغه أن الموظف الذي أوصى به وأثنى عليه قد اختلس مما في عهدته مبلغاً جسيما، بهت اريك واستهول عودة هوجو إلى الانسياق في تيار غرائزه، وأحس أنه

مسئول أدبيا عن تصرفات صديقه، فارتدى للفور معطفه واختطف قبعته، وبينما يهم بالخروج إذ بساعي البريد يسلمه مظروفا بعثت به إليه إدارة البنك الآخر الذي يودع فيه أمواله افتضه ولهفة، فوقع بصره على بيان جاء فيه أن مدام جرترود قد سحبت باسمه مبلغ أربعين ألف مارك!

ذهل اريك ولم يخطر على باله أول الأمر أن هناك جريمة، وأن جرترود قد تكون مجرمة مزورة!

وخانته قواه وارتمى على مقعد بقرب الباب والعرق يتصبب من جبينه. ثم انتفض فجأة وأسرع إلى التلفون. واستفسر مدير البنك الذي يعمل فيه هوجو عن مقدار المبلغ الذي اختلسه، فأجابه المدير بأن المبلغ هو أربعون ألف مارك، ولكن هوجو قد جاء منذ لحظة وردة إلى خزينة البنك، فلم تبلغ الإدارة البوليس واكتفت بفصل هوجو من هيئة موظفيها.. فوقعت السماعة من يد اريك وتهاوى على نفسه واعتمد بيده على حافة مكتبة ثم تداعى وسقط على المقعد، وقد أيقن أن جرترود التي أحبها سلبت البقية الباقية من ماله، وأنقذت به عشيقها القديم، فوضع وجهه بين راحتيه واختلج وجعل يبكي بكاء الأطفال، ومد يده بالرغم منه وتناول سماعة التليفون وخاطب هوجو في

منزله ورجاه أن يحضر إليه حالا..

فتح الباب ودخل هوجو مكفهر الوجه. فلم يكد يبصره اريك حتى تقدم إليه وأمسك بذراعه وقال بصوت خافت أشبه بهمس:

-أعرف كل شئ!

فتقهقر هوجو ورفع رأسه وقال:

-ليس لك أن تخجل مني أو تأسف على رعايتك إياي، وأنا لم أختلس، والمبلغ في خزينة البنك

فرمقه اريك بنظرة فاحصة ثم قال هازا رأسه: -ولكن جرترود اختلست!.. زورت توقيعي!

وألقى أمامه بالبيان الذي وصله من إدارة البنك، ففغر هوجو فاه كابله وجعل يحملق في الأرقام ويردد كالمجنون:

-أربعون ألف مارك!

وعندئذ أقبلت جرترود، أقبلت تتهادى في ثوبها الحريري الجديد، فلم تكد تبصر هوجو حتى شهقت وجمدت في مكانها فانقض عليها الشاب وهو لا يعي، وقبض على ذراعيها وجعل

يهزهما ويصيح قائلا:

-من أين جئت بالمال الذي أعطيتني إياه؟.. فلم تستطع الكلام وظلت مغمضة عينيها فعيل صبر هوجو واستفظع جريمتها وتصور هول الكارثة التي حلت بالصديق الطيب، فثارت ثائرته وجعل يصرخ قائلا:

-أنت كاذبة.. أنت خائنة!

فرفع إليه اريك عينيه وقال:

-كان ذلك من أجلك! إنها تحبك وحدك، فخذها!

فأجابه وهو يهدر قائلا:

-كان أحب إلي أن أطرح في السجن من أن أكون السبب في خرابك!

فذهلت المرأة وشخصت إلى هوجو ولم تتمالك نفسها فقالت:

- إلى هذا الحد تفضل اريك على نفسك؟

فأجاب قائلا:

-وعليك أنت أيضا!

وجمحت به أعصابه فأردف صائحا:

-لا أريدك!. أكرهك على قدر الأذى الذي ألحقته بأريك، هذا الرجل الذي أحسن إليك وإلي!!

فمادت الأرض بجرترود، وشعرت بأنها هي الأخرى قد فقدت كل شئ، فتحاملت على نفسها جارة قدميها ثم استدارت وخرجت دون أن يلقي عليها اريك نظرة!

وفي صبيحة اليوم التالي .. وجدت جرترود منتحرة في غرفة في أحد البانسيونات.

بطولة أم

للكاتب النمسوي/ ستيفان برونشتاين

تمتاز مساكن العمال في إحدى مناطق فيينا بجمالها وتوافر أسباب الراحة فيها. فالحدائق تكتنفها، ودور المسارح والسينما على مقربة منها، ورياض الأطفال تحيط بها، وطابع النظافة والأمن يتمثل فيها ويبعث في نفس الناظر إليها مختلف عوامل الإكبار والتقدير والإعجاب وكانت إحدى نقابات العمال قد شيدت هذه المساكن قبيل عهد المستشار «دلفوس» وكان العامل النشط «كارل» قد ساهم في تشييدها وبذل قصاراه في جمع المال لها، وظل يخطب في العمال أسابيع متوالية، يستنهض هممهم ويبعث النخوة في صدورهم ليجود كل منهم بما يستطيع من مال في سبيل تحقيق هذا المشروع

وكانت قد اختصت كل أسرة تنتمي إلى النقابة بمسكن مؤلف من ثلاث حجرات أو أربع تحسدها عليه معظم الأسرات المنتمية إلى الطبقة المتوسطة في البلاد الأخرى ، وأما النظام الذي كانت تتبعه النقابة فيما يتعلق بإسكان العمال، فكان يفرض اقتطاع جزء

من مرتب العامل مقابل تمتعه بمنزل أنيق نظيف وتمتع أبنائه بالتنزه في الحدائق أو اللهو في رياض الأطفال.

وكان مما أثار إعجاب الناس بأعمال تلك النقابة في تلك المنطقة، أنها كانت، بفضل ما ادخره صندوقها من مال، تحتضن أبناء العمال الذين فقدوا آباءهم، وتنفق عليهم وتعنى بشئون تربيتهم وتعليمهم، وتقيهم شر الفاقة والتدهور والانحطاط وما كان أسعد كارل يوم شيدت هذه المساكن، ويوم وافق مجلس النقابة على مشروع احتضان اليتامى من أبناء العمال، فقد غمره الفرح وأحس أن مثلا من أمثلته العليا قد تحقق، فأخذ يثب ويرقص ويغني، وزوجته «نورا» تنظر إليه معتزة معجبة وأطفاله الثلاثة يهللون ويهتفون.

وكان كارل في الخامسة والأربعين من عمره، مديد القامة، مفتول العضل، أزرق العينين، تنم نظراته المتقدة عن ذكاء خارق وعزم قوي..أما زوجته نورا فقد كانت امرأة هادئة الطبع،سليمة الأعصاب، مليحة الوجه، ذات جبهة مشرقة لامعة، وشعر أشقر مموج، ورقة أخاذة ساحرة، وكفاية نادرة في إدارة شئون البيت وقد تزوجت نورا بكارل عن حب مبرح شديد، ولكنها عندما أصبحت أماً، تمكنت بفضل صفاء ذهنها ومنطق تفكيرها وعميق حكمتها،

من التوفيق بين حب الزوج وحب الأطفال، فكانت مثال الولاء والإخلاص لقرينها، ومثال التضحية اليومية الرائعة في سبيل أبنائها فلما كان كارل يدخل البيت عند المساء منوك القوى من جراء عمله الشاق في مصنع الحديد، كانت تخف نورا لاستقباله متألقة الوجه بسامة الثغر وحولها أطفالها الثلاثة يضجون ويصفقون، فيقبل كارل امرأته ويحمل أطفاله على ذراعيه وكتفه، ثم يتوسط البيت وهو جذلان، ثم ينضو عنه ملابسه، ثم يجلس إلى المائدة، ويظل ينقل طرفه في مسكنه النظيف فيغتبط وتملأ صدره نشوة الفخر ،ويحس في تلك اللحظة قيمة الجهود الجبارة التي بذلها العمال أخوانه لمنحه مثل هذا المنزل الهادئ النظيف المريح وهكذا عاشت نورا برفقة زوجها كارل بضعة أعوام، في هناء لم تعكره أية سحابة..

كان العمل متوافراً، فشبح العطل بعيد، والأجور تدفع بانتظام كل أسبوع، والأطفال أصحاء وكارل قوي نشط، ونورا قريرة النفس ساكنة العواطف مطمئنة القلب لا تحلم بشئ ولا تصبو إلى شئ ولكن ما حيلة نورا وكارل في الأحداث السياسية والأزمات الاقتصادية وتقلبات أنظمة الحكم ومنازعات الأحزاب، وما يترتب على كل هذه التيارات من اضطراب في الحياة العامة،

وهم في الحياة الخاصة وضنك وبؤس وشقاء؟

عصفت الأزمة بأسرة كارل كما عصفت بغيرها من الأسر، ففصل بعض العمال من المصانع، وخفضت أجور البعض الآخر، ولاح شبح العطل في سماء فبينا كأنه شبح الموت يحمل في يده منجل الحصاد وشاء الحظ أن يخفض مرتب كارل فقط، فلم تشك نورا ولم تتبرم بل صبرت على ما حل بها وخفضت هي الأخرى من ميزانية بيتها وافننت في التوفير والاقتصاد، وكانت تحرم نفسها وتحرم في بعض الأحيان قرينها كي لا تشعر أبناءها الثلاثة بوطأة الضيق ودل الحاجة

ولم يكن في وسع كارل إلا أن يقتدي بزوجته ولكنه إذ أبصرها تبالغ في حرمان نفسها ضرورات الحياة، عز عليه ألا يطاولها، فكان يسرف في حرمان نفسه هو أيضا، فكانت بين الزوجين مباريات في الحرمان فاجعة غريبة، رفعت من قدريهما في عيون الأصدقاء والزملاء وجعلت من أخلاقهما النبيلة مثلا يحتذي وألف الزوجان هذه الحياة، فكان كل منهما يغتصب الفرح اغتصابا ليقدمه هدية للاطفال. وكان الأطفال قد شبوا عن الطوق ونموا وترعرعوا، فكان أكبرهم يحس ويفهم ويفكر، فيحاول رياضة نفسه على ذلك الحرمان الذي أصبح شعار البيت، ومع ذلك فقد

كانوا سعداء. كانوا يتأملون في حياة العمال المتعطلين، فتتعزى قلوبهم وتلطف السلوى بعض ما في صدورهم من حسرة على الماضي الجميل.

على أن هذا العزاء لم يكن ليصرف نظر كارل عن رفاقه التعساء، فقد كان يقتطع جزءاً آخر من مرتبه ويتبرع به لصندوق النقابة الخاص بالمتعطلين ولم تستنكر منه نورا هذا العمل، بل على النقيض طالبته به وشجعته عليه، يقينا منها أن في هذا التضامن والتعاون حياة النظام النقابي

واستطاعت نورا مكافحة الضيق ومجالدة الأزمة والتغلب عليها، ولكن كيف تستطيع نورا مكافحة القضاء والتغلب على المرض؟

لم تفكر في هذا الطارق الملعون، لم تحسب حسابه، لم تعد له العدة. وهل كان في مقدورها أن تفعل ومرتب زوجها أصبح ضئيلا، ومطالب الصبيان ازدادت وتنوعت، ومستوصف النقابة المتواضع الذي انقطعت عنه كمية كبيرة من التبرعات، قد ضاق ذرعا بمرضاه، ولاسيما أصحاب الأدواء المستعصية منهم؟

أصيب كارل بداء القلب، فبدأ يشعر بثقل وطأة العمل وبالحاجة إلى الراحة. وبدأ يتغيب ويستجدي الأجازات، ويقضي

الساعات الطويلة في الحدائق كاسف البال حزينا. غير أن معظم إجازاته كان لا يحتسب عليها أجر، وكانت نورا مجبرة على إنفاق كل ما ادخرته من دريهمات وعلى بيع ما يمكن الاستغناء عنه من أثاث البيت لتجتاز هذه الأزمة الثانية وتطعم أبناءها وتنقذ زوجها من براثن الموت ولكن الموت أنشب مخالبه ذات مساء في صدر كارل، فذهب فريسة نوبة عاجلته عقب عودته من المصنع حيث أقبل على العمل مغامراً بصحته متحديا أمر الطبيب مدفوعا بإخلاصه العميق لزوجه وأولاده وشفقته العظيمة عليهم واسودت الدنيا في عين نورا، واستفاقت وإذا بها تبصر نفسها وحيدة في هذه الدنيا تحمل على منكبيها ثلاثة أطفال!

وبدأت نورا المنكودة الحظ حياة الجهاد..

لم تكفها الإعانة الشهرية التي قررتها لها النقابة، فعهدت بأولادها إلى جارة لها نظير مساعدة مالية بسيطة، وشرعت هي تبحث عن عمل ويا له من طريق وعر، جم الشعاب، كثير الهضبات، محفوف بالمخاطر، ذلك الذي سلكته نورا..

كانت تغادر بيتها في ساعة مبكرة، وتسرع إلى مصنع السجائر القريب من حيها، وتقف الساعات الطوال بين صف طويل من العاملات والعمال المتعطلين، وتظل ترمق بعينيها المنقدتين اللوحة

الكبيرة المعلقة على باب المصنع، والتي تعلن حاجة المصنع إلى عمال موقتين بأجر يومي، فإذا ما انفرط مقدم الصف وأوشك أن يقرب دورها، نزعت اللوحة فجأة وأغلق باب المصنع واكتفت الإدارة بمن سبقوها من عمال وعاملات

وعندئذ ينسحق فؤاد نورا ويستحوذ عليها يأس ممزق، وتندفع إلى الشوارع مع النسوة المتعطلات أمثالها وهن يهددن ويزجرن، وتأخذ في طرق أبواب المصانع الأخرى، باحثة عن أي عمل بالغة ما بلغت ساعاته وكائنا ما كان الأجر المعين!..

وكان شحوب لونها وضمور تقاطيعها وظل الأسى المنسكب عليها، وفتنة بصرها الشارد، وهيبة جبينها العريض، وروعة ابتسامتها الكليلة المنطفئة، كل ذلك كان يطمع فيها الرجال، فيتحرشون بها، ويقتفون أثرها، ويطاردونها، وهي تفر منهم، والذعر يملأ قلبها، ونفسها العزيزة الشامخة تأبى أن تفرط في عرضها، ولو كان في ذلك حياة أبنائها!

وتصيدها ذات يوم مدير إحدى الشركات وأعجب بجمالها وراقه منها ذلك الدلال الحزين الشائع في كل حركة من حركاتها، فلوح لها بالأمل المنشود، وأسند إليها منصبا في شركته، ودربها على معالجة الآلة الكاتبة، وبعد أن طمأنها إلى مستقبلها وألقى في

روعها أنه سوف يتعهدها، ويصل بها إلي ما تستحق من رفاهية وهناءة ونعيم، ساومها في صراحة على عرضها، فتأبت كعادتها، فطردت من الشركة في اليوم التالي، وارتدت إلى حياة الطواف والتجول والتشرد والوقوف بأبواب المصانع على غير جدوى وكان يتفق لها أن تشتغل يوما ثم تتعطل أسبوعا، فتحار في أمرها ولا تدري كيف تعول أبناءها، فتبيع القطعة تلو القطعة من أثاث بيتها، وتشد النطاق حول بطنها، وتبالغ في حرمان نفسها، وتعتصر عقلها ذكاء وتحايلا في سبيل ابتكار ضروب خارقة من الاقتصاد تمكنها من إطعام أبنائها بأيسر النفقات وأقل التكاليف وهزل الأولاد وغارت عيونهم، وزايلهم مرح الطفولة المعهود، وبدوا في ثياب رثة، وكآبة ساهمة مؤلمة، ومظهر بائس يقطع نياط القلوب تجاه هذا الضنك الذي يوشك أن يستفحل وينقلب إلى جوع مفترس، عادت نورا فاستصرخت النقابة العون والرحمة التمست، توسلت، انتحبت، أرادت أن تنزل عن الإعانة مقابل الحصول على عمل دائم، أو الفوز بمساعدة مالية أخرى، ما دام العطل يعصف بها. وما دام عليها أن تقوم بأود ثلاثة أطفال ولكن النقابة أيضا أوصدت الباب في وجهها!

كانت الأزمة قد اشتدت وتضاعف عدد العاطلين وازدادت

واجبات النقابة، وكف أصحاب المصانع عن استخدام النساء تخفيفا لأزمة العطل بين الرجال..

ولم يكن أبناء نورا يتامى الأب والأم كي تعني النقابة بأمرهم وفق ما يفرضه عليها قانونها، ولم تكن نورا امرأة طاعنة في السن أقعدتها الشيخوخة عن البحث عن عمل في غير دائرة المصانع ودائرة اختصاص النقابة ، لهذا كله عادت نورا واهنة ذليلة خائبة. وقد شعرت أبلغ شعور وأوفره بأنها بين أمرين.. إما أن ترضي بهذه الحياة وما تحمل في اطوائها من استهداف يومي لخطر الجوع والمرض والموت، وإما أن تنزل عن أبائها وتضحي بعفتها، وتبيع عرضها في سوق الدعارة والفجور!..

لآثرت الطريق الأول واشتغلت مربية أطفال، ثم خادمة، ثم غسالة، ثم بائعة أزهار. وكانت تتنقل من مهنة لم تألفها إلى مهنة جديدة عليها، سرعان ما يظهر عجزها فيها فتفصل منها. وكان من جراء تلك الحيرة وهذا التنقل المصحوب بالعطل الطويل ونفاد كل درهم أدخر ،فاضطربت حياة الأطفال وانحط مستواها انحطاطا مروعا لفرط ما كانت تتجاذبها، عوامل الاستقرار تارة، وعوامل البؤس والفوضى تارة أخرى، فاستهولت نورا هذه النهاية الفاجعة، وتارت ثورتها، وعز عليها أن تجاهد وتكافح وتمارس

أوضع المهن وتشتغل أكثر من اثنتي عشرة ساعة في النهار. ثم لا تستطيع بعد هذا كله أن تطعم أولادها حتى الشبع، وتكسوهم بثياب نظيفة، وتحسن علاجهم عند المرض، وترد إليهم ولو قسطا يسيراً من تلك البهجة الطلقة القديمة التي يتحرقون عليها اليوم!

أجل، في وسع نورا أن تطعمهم فقط، وتكسوهم فقط، الطعام الضروري والكساء الرث، أما الشبع وأما النظافة وأما العلاج الصالح فتلك ألوان من السعادة تريدها نورا لأبنائها ومن المحال عليها أن تستطيع تحقيقها!

ولكنها تريدها، وبالرغم من شقائها تطمع لهم فيها، تطمع لهم فيها وهي تعلم علم اليقين أن هذا الحلم ضرب من الجنون!

أي جنون؟.. إن رضاها بمثل هذه الحياة التاعسة لأطفالها هو الظلم الصارخ وهو الجنون بعينه!

***

واستحوذت عليها فكرة استغرقت اهتمامها وخالطت عواطفها وحالت بينها وبين الراحة والهدوء

وتمكنت منها هذه الفكرة فتبدلت أخلاقها تبدلا فجائيا وزايلتها كآبتها وتألق محياها وعادت ابتسامتها المطمئنة القديمة

ترف على شفتيها الحمراوين الدقيقتين وساد الصفاء نفسها، وتملكها شبه إشراق صوفي، فكانت لا تسرف في الحركة ولا تسرف في الكلام ولا تسرف في الضحك، وتعيش متجهة القلب والروح صوب عالم سري يحف به الجمال والنور وزهدت في الدنيا، وعافت ملذاتها، وقطعت على نفسها عهداً مقدسا بضمان حياة الأمن والاستقرار لأبنائها!

***

وهدأت من ثورتها وانتظرت. انتظرت حتى أقبل يوم العيد، عيد الأطفال اليتامى الذي تحتفل به النقابة كل عام وتحشد فيه طائفة من أروع الألعاب وتدعو المحسنين لمشاهدته والتبرع لصندوقه بما تجود به اليد وكان ذلك في يوم أحد.

في يوم من أيام الخريف الوسنانة الفاترة التي تغري بالتأمل وتبعث على التمادي في أحلام اليقظة، وتدفع بالحزانى إلى التماس الفرح من طريق الاسترسال في الحزن والألم ولم تكد نشرق شمس ذلك اليوم المرتقب، حتى هلل الأطفال الثلاثة واغتبطت نفوسهم وارتدوا أسمالهم البالية وطالبوا نورا بالوفاء بوعدها واصطحابهم لمشاهدة الألعاب.

ولفت نورا وشاحها الأسود حول وجهها، وألقت معطفها على

كتفي ابنتها الكبرى التي لم تجاوز الثامنة من عمرها، وانطلقت حيث جارتها فأوصتها بالأولاد خيراً، ثم عادت إلى أبنائها وهي تضحك وقد لمعت عيناها لمعانا فاتنا عجيبا. وخرج الأربعة لمشاهدة العيد!

وذهل الأطفال إذ أبصروا الخيول الخشبية تدور في الحلبة الكبيرة، والأراجيح تقذف بركابها إلى عنان السماء، والقوارب تشق عباب نهر جائش مزبد والبساط السحري يحمل الناس إلي برج شاهق عظيم، والبلية لا تنفك تدور وتلقي على الأرض بمن تحمل من رجال ونساء وأطفال يقع بعضهم على بعض صائحين حانقين مقهقهين!

ذهل الأولاد وأشرقت وجوههم، ودب النشاط في أبدانهم واحتواهم الفرح، فأحاطوا بنورا واشر أبت إليها أبصارهم المتوسلة وأعربوا في خوف وقلق عن رغبتهم الحارة في الاشتراك في العيد

فأطرقت نورا برأسها لحظة، ثم ابتسمت، ثم انحنت على ابنتها، وفي صوت ساحر ملائكي رخيم، قالت وهي تحكم عقد وشاحها الأسود الذي عبث به الهواء:

–ليزا، راقبي أخويك في أثناء لهوهما. أما أنا فيجب أن اذهب.

–إلي أين يا أماه؟...

–يجب يا ابنتي. وإذا عدتم إلى البيت ولم تجدوني فاذهبوا إلى منزل المسيو ريتشارد رئيس النقابة.. سأكون هناك لأمر يتعلق بمصلحتك أنت وأخويك وأشاحت نورا بوجهها وارتجفت أهدابها، ثم تحولت إلى أبنائها وانحنت عليهم وقبلتهم الواحد بعد الآخر، ولما عانقت ابنها الصغير هنري اختلجت بعض الشئ وتقلصت شفتاها ولكنها تمالكت نفسها وابتسمت، وأخرجت من حقيبة يدها مفتاحا وناولته لليزا وقالت:

–هاك مفتاح البيت.. راقبي أخويك!

وتراجعت نورا وهي تحدق إلى أبنائها، ثم لوحت لهم بذراعها تحييهم، ثم جمدت في مكانها لحظة، ثم رمقتهم بنظرة أخيرة واستدارت وجعلت تجر نفسها جراً ، وقد اختلج بدنها وطغت عواطفها وخنقتها الدموع ، أحست نورا أن قوة هائلة تجذبها إلى الوراء فاتأدت وحاولت أن تتلفت، ولكن تياراً من العزم الجامح سرى فيها، فاستجمعت قواها وعضت بأسنانها على طرف وشاحها واستطردت السير

وتركت ميدان الاحتفال، وتوسطت الشارع، واجتازت بعض الأحياء الآهلة بالسكان، ثم عرجت على طريق يفضي إلى خارج

المدينة وهناك وقعت عينها على النهر الصغير الذي فكرت فيه بالأمس طويلا، فاتجهت نحوه، وانحدرت من فورها إلى حفته، ودون تفكير أو تردد أو تلكؤ، رفعت ذراعيها وألقت بنفسها في النهر!

وفي صباح اليوم التالي علم المسيو ريتشارد بمصرع مدام كارل فلم يستطع إلا أن يدرج أسماء ليزا وماكس وهنري في قائمة اليتامى من أبناء العمال .. وهكذا تحقق حلم نورا واحتضنت النقابة أولادها!

الانقلاب

للكاتب البولندى/ انطون سيكورسكي

أغلقت مدام أيفون أبواب البهو بيد مرتعشة، ثم عادت إلى حيث يجلس المسيو ايفان طبيب العائلة. وعندئذ أجفل الطبيب وأشاح بوجهه، فابتسمت المرأة ابتسامة خبيثة وجلست تجاهه وقالت وهي تحدق إليه كأنها تحاول النفاذ إلى أعماق نفسه:

-أراك منذ أسبوع مضطربا يا مسيو ايفان.. فما بك؟

فأرسل الطبيب زفرة ثم رشق مدام أيفون بنظرة وجلة وانعقد لسانه وأوشك الدمع أن يطفر من عينيه ، فعضت المرأة على شفتها السفلى وقربت مقعدها من مقعد الطبيب وانحنت عليه قليلا وقالت وهي شاخصة إليه:

-اعرف كل شئ يا ايفان!

فانتفض الرجل وتطلع إليها وحاول أن يتكلم ولكنها قاطعته قائلة:

-أنت في أشد الحاجة إلى المال!

فأطرق منسحقا وغمغم يقول:

-نعم...

-يجب أن تسدد غداً الدين الذي عقدته على المائدة الخضراء، دين الميسر

فهز ايفان رأسه ولم يجسر على رفع عينيه فأردفت مدام أيفون تقول:

-ويجب أن تنقذ ابنتك الوحيدة والتي كادت تشرف على الأربعين.. يجب أن تزوجها بمن تحب.. وإلا خلفها فريسة العنوسة ونهب الفاقة والوحدة والشقاء... أليس كذلك؟

فتقلصت شفتا الطبيب وارتجف وفاضت من عينيه الدموع. فأمسكت مدام أيفون بذراعه وربتت على كتفه. ولكنه تمالك بعد لحظة نفسه ورفع إليها بصره وقال في هدوء:

-كيف عرفت كل هذا؟

-كنت ألا حظك... دفعني عطفي عليك إلى الاهتمام بك. أنت طبيب أسرتنا وأنت الذي نصحت للمسيو فلاديمير

بالاقتران بي.. لم أنس لك ذلك، ولم أكد أشعر بحيرتك وقلقك حتى اهتممت بك ورغبت في إنقاذك، ولقد استقدمت خطيب ابنتك.. نعم. كان بالأمس هنا وهو الذي صارحني بكل شئ والتمس مني أن أقدم لك يد المساعدة.. فتنهد ايفان ثم أغمض عينيه قليلا كمن يحاول أن يلطف عنه وقع همه وقال:

–إن أسرته مثقلة بالديون وابنتي تحبه، فإذا لم أسعفه بالمال رفض الزواج منها وعندئذ..

فأتمت المرأة العبارة بأن قالت:

– قد تفكر ابنتك في الانتحار!

فنهض الطبيب والعرق البارد يتصبب من جبينه وجعل يذرع البهو بخطى عصبية وهو يهز رأسه كمعتوه ويتمتم كلاما لا يفهم، وأمهلته مدام أيفون حتى هدأ، ثم دعته ثانية للجلوس، ثم قدمت له سيجاراً فاخراً ولما أشعله وطفق يرسل ذوائب دخانه في الفضاء، قطبت المرأة حاجبيها واستجمعت قواها وقالت بصوت غائر مرتعد النبرات:

–في المسألة إذن مصير ابنتك ومصير سمعتك وشرفك!..

فصاح ايفان وقد أمسك بذراعي مدام أيفون:

-وأنت وحدك في وسعك إنقاذي!.. أقرضيني ما أنا في حاجة إليه ولك أن تستولي كل شهر على دخل عيادتي. سأشتغل ليل نهار.. لن أعود إلى الميسر.. لن..

فضحكت مدام أيفون ضحكة باردة جمدت الدم في عروق الطبيب وقالت:

-ولكنك ستشتغل أكثر من عشر سنوات ثم لا تستطيع سداد هذا الدين..

فوجم الطبيب وغمغم جاحظ العينين قائلا:

-ولكنك صديقتي وستقرضينني المبلغ ولاشك دون فوائد؟..

فتجهم وجه المرأة فجأة وتبدلت سحنتها وقالت بصوت خشن جاف:

-أمجنون أنت؟

فذهل الرجل ولم يفهم وأطال التحديق إلى المرأة ،عله يستشف من ملامح وجهها حقيقة ما ترمي إليه من وراء هذا

الحديث، ولكن مدام أيفون ألقت برأسها إلى الخلف وقهقهت قهقهة عريضة داوية وقالت:

-انك بالطبع مجنون! لن أقرضك المبلغ أبداً.. سأعطيك إياه.. بلا صك ولا إيصال ولا..

فوثب الطبيب من مقعده شارد البصر وأنكب على يدي مدام أيفون يحاول تقبيلهما غير أنها تراجعت وأردفت بلهجة ملؤها التحقير والازدراء قائلة:

-ولكنك جبان يا عزيزي ايفان!

ففغر الرجل فا كأبله..وفي تلك اللحظة أطرقت المرأة واستطردت قائلة وهي تتلفت إلى الأبواب المغلقة وصدرها يعلو ويهبط:

-سأعطيك المبلغ على شرط أن تطيعني

فصرخ: لك ذلك

-ولكنك جبان!

-لن أحجم عن شيء في سبيل إنقاذ ابنتي وشرفي!

فنظرت إليه طويلا ثم ضمت أهدابها ثم اقتربت منه وأسرت في أذنه قائلة وهي ترتعد:

–حتى عن الجريمة؟

فجمد الرجل واندفق الدم إلى وجهه وزاغت عيناه، فابتسمت مدام أيفون وتحولت عنه وقالت:

–أرأيت.. أرأيت انك جبان؟...

فاصطكت أسنانه وانخلع قلبه رعباً، ولكنه كبح جماح أعصابه واستطاع أن يغمغم قائلا:

–ماذا تريدين؟...

فأجابت على الفور بلهجة هادئة عازمة:

–أريد أن أتخلص من اميليا أنها مريضة وأنت الذي تعالجها وفي مقدورك أن تقضي عليها بنوع من السم البطئ الذي لا يخلف في الجسم أي أثر... فهلع فؤاد الطبيب وغشت الظلمة عينيه وتقهقر عينيه وتقهقهر مذعوراً وقال وهو يلهث:

– لن افعل هذا أبداً!

فاكفهر وجه أيفون ومدت ذراعها وأشارت إلى الباب وقالت:

-إذن فاخرج

فخطا ايفان خطوتين ثم تردد فأسرعت إليه وأمسكت بكتفه وجعلت تهزه هزاً عنيفا وتقول:

-فكر في نفسك. في شرفك. في سمعتك

-أبداً..أبداً..

-اقتل ابنتك إذن. دعها.. دعها تنتحر!...

فتداعى جسم ايفان ،وخارت قواه وأحس كأن الأرض تميد به فسقط على مقعد وطمر وجهه بين راحتيه وأجهش بالبكاء كالأطفال وعندئذ تقدمت مدام أيفون، وبرفق وعطف وشفقة مصطنعة أخاذة ساحرة لمست كتفه وقالت بصوت ناعم رقيق:

-اتفقنا... فهز رأسه بالإيجاب، فابتسمت المرأة ثم خرجت وتركت ايفان في البهو بمفرده... ولم تنم أيفون تلك الليلة...استحوذ عليها فرح غريب. ولما تصورت نفسها وقد انتقمت من اميليا ومن فيدور واستولت على ثروة زوجها،

خامرها شعور عميق بالراحة سرعان ما أغمض عينيها وأسلمها إلى النوم عند مطلع الفجر.

وكانت أيفون امرأة تقدس المال، اقترنت في مستهل شبابها بعامل فقير قضت معه ثلاث سنوات ثم مات دون أن يخلف لها شيئا، فلم تفكر في الزواج ثانية بل انطلقت تعيش حرة، تنقلت من وسط إلى وسط ومن رجل إلي رجل، واحترفت التمثيل ردحا من الزمن، ولم تكن أيفون امرأة دميمة. بل كانت حسناء فاتنة. ولكن فتنتها كان ينقصها سحر الأنوثة العذبة الرقيقة والواقع أن أيفون كانت خشنة الصوت فظة الخلق غليظة الألفاظ، لا يكاد أن يعلق بها شاب حتى يفطن إلى غلظتها فينفر منها ويعرض عنها، وظلت السنوات الطوال تنشد الثروة على غير جدوى، إلى أن تعرفت في حفلة عائلية كانت تمثل فيها إلى المسيو فلاديمير مايشكي صاحب مصنع القبعات المشهور

وكان في الخمسين من عمره، توفيت زوجه منذ عشرة أعوام، وخلفته حزينا في صحبة ابنته اميليا.

أدركت ايفون بغريزتها أن هذا الرجل الوحيد في حاجة إلى امرأة، فقررت أن تنتهز هذه الفرصة فتبدل من أخلاقها وتلطف من غلظتها ،كي تفوز بهذا الكهل الذي لا ينشد في الحياة أكثر

من أن يشعر بمتعة الحب الأخير وكان يتردد على المسرح الذي تمثل فيه ويرسل إليها طاقات الأزهار ويبعث إليها بمختلف الهدايا، ولكنها كانت ماكرة خبيثة فصدت وتعالت عليه وأبت أن تمكنه منها، وهكذا ألهبت عواطفه وأضرمت نار الحب في صدره وألقت في روع الرجل الطيب أنها امرأة فاضلة، وكان من عادة فلاديمير ألا يغشي المسرح إلا مع طبيبه وصديقه ايفان. فتقربت المرأة إلى الطبيب وامتدحته وجلبت إليه طائفة كبيرة من «الزبائن»، فأكبرها ونصح لفلاديمير بالزواج منها.

وحدث أن مناورات أيفون كانت قد ضاعفت غرام فلاديمير، فأذعن لصوت عاطفته وامتثل لنصح طبيبه واقترن بايفون غير مكترث لمعارضة ابنته اميليا.

ودخلت أيفون قصر فلاديمير دخول الفاتح، وأغدق عليها من ماله وجاهه ما أشعرها بأن القدر قد دان لها، ولم تكد أيفون تشرع في بسط سلطانها على البيت حتى اصطدمت باميليا!..

أبغضت الفتاة هذه المرأة الدخيلة وأحست ما تريده بوالدها، فتجهمت لها وبذلت قصارى جهدها لتحول بينها وبين التدخل في كل ما يتعلق بثروة الأسرة، فجن جنون أيفون وامتلأ صدرها حقداً على اميليا، وتوسلت بمحاسنها البدنية لإثارة

الزوج على ابنته ،وكانت تضطهد الفتاة ما استطاعت، فتسخر من زيها، وتهزأ بآرائها وأفكارها، وتحقرها أمام الناس، وتغتابها وتشي بها وتنسب إليها من الأقوال والأفعال ما هي بريئة منه، هذا والفتاة كلما حاولت الاستنجاد بأبيها اصطدمت بحبه العظيم لامرأته وثقته العمياء بها.

وانقضى العام الأول في نزاع مطرد بينها وبين اميليا، ولكن الزوجة كانت أقوى من الفتاة، كانت أقوى بسحر الجسد وأغراء الأنوثة وسلطان الحب على نفس كهل يأبى إلا أن يفوز من الحياة بقسط قبل أن يداهمه الموت ،ولما أبصرت اميليا والدها يضعف ويستسلم لتأثير امرأته، وأحست العجز المطلق عن كبح جماع زوجة أبيها وإلزامها حدها، انطوت على نفسها ولاذت بالعزلة وتركت المرأة الدخيلة تعبث بثروة الأسرة كيف شاءت، وعندئذ لعبت نشوة النصر بعقل أيفون، وصفا لها الجو برمت بذلك الكهل، ووثقت صلاتها القديمة بعشيقها القديم فيدور، وكان شابا عاطلا يعيش عالة على النساء، يتصيدهن بجماله وسحر حديثه وأناقة مظهره ثم يهددهن بالفضيحة أو الضرب أو القتل أن هن حاولن الآفلات منه أو قبض أيديهن عنه.

استشعرت اميليا بفطرتها أن سلوك زوجة أبيها قد تغير،

فراقبتها، وبثت حولها العيون ، وجاهدت لتقف على سرها وتثأر منها، ولكن أيفون كانت مثال الحرص والتحفظ في علاقتها، فلم تستطع اميليا أن تعثر على أي برهان ينم عن خيانتها، فكرت على أعقابها حانقة يائسة مهزومة غير أن أيفون لم تغتفر للفتاة فضولها الخطر، زاد حقدها عليها وكرهها لها، وشرعت تفكر في خير الطرق للتخلص منها...

فكرت أيفون طويلا، وأخيراً، أرادت أن تزوج اميليا من عشيقها فيدور!

هذا الزواج وحده هو الذي يحقق أغراضها وعند ما تأزف الساعة ويموت فلاديمير لا يستولي غريب على نصيب اميليا من ثروة أبيها بل تظل الثروة بأجمعها في قبضة أيفون وقبضة عشيقها!

وصارحت أيفون خليلها بما استقر عليه رأيها، فأعجبته الفكرة وراق له أن يمثل بفضل زواجه باميليا نفس الدور الذي مثلته أيفون بزواجها من فلاديمير، ولكن فيدور كان عاطلا فسعت المرأة حتى مكنته من الفوز بمنصب متوسط الأجر في مصنع زوجها ،وانطلقت تؤيده وتزكية حتى رقاه فلاديمير وضمه إلى هيئة إدارة المصنع ،وحينئذ قربته أيفون إلى دائرة الأسرة

وعرفته إلى اميليا وجعلت تشيد به وتتحدث عن المستقبل الرائع الذي ينتظره.

وكان فيدور أنيقا حلو الحديث خبيراً بالنساء، فاستهوى لب اميليا التي مالت إليه واشتركت مع أيفون في تزكيته عند فلاديمير وكان ما أرادت الزوجة، واقترن فيدور باميليا وابتهجت أيفون وخلالها الجو. ولكن من ذا الذي يستطيع التنبؤ بالمستقبل ويأمن ألاعيب القضاء ونزوات القدر؟.

فقد وقع الحدث غير المنتظر، votesوروعت أيفون عندما أدركت أن فيدور قد أفلت منها وأعرض عنها وبدأ يحب زوجته اميليا!

شاء القدر أن يحب فيدور زوجته ويخلص لها ويصد عن عشيقته كأن لم تكن له بها أية صلة، فثارت ثائرة أيفون وكبر عليها أن تسلبها اميليا الرجل الذي كان متعة لبدنها، فاشتد تحرقها على فيدور واشتد خوفها على مصير ثروة زوجها واشتد بغضها لاميليا، وكانت أيفون جالسة في إحدى حجرات القصر ذات صباح وقد اتشحت بثوب أسود ضاعف جمالها تحدق إلى صورة اميليا الموضوعة فوق المعزف، إذا بطارق يدق على الباب دقا خفيفا، فأجفلت وصاحت قائلة:

-من؟..ادخل..

ففتح الباب في رفق ودخل منه الطبيب ايفان .. فهزت أيفون كتفيها غير مكترثة وقالت:

-هذا أنت؟!

فأوصد الطبيب الباب وتقدم إليها وقال والشرر يتطاير من عينيه:

-لم يعد في وسعي الانتظار. يجب أن تفي بوعدك. يجب أن تدفعي القسط الثاني من المبلغ!

فرمقته أيفون بنظرة مشفقة ساخرة وقالت:

-لقد أنقذتك من دين الميسر، وأعتقد أن في هذا الكفاية

فنفد صبر الطبيب وصرخ قائلا:

-ولكني أريد تزويج ابنتي، ولابد لي من المال.

فتضاحكت أيفون وقالت في برود:

-انتظر أيضا...بعد شهر...لا...بعد أسبوع

-بعد أسبوع يكون قد فات الوقت. سيحجز على مرتب خطيب ابنتي، وسيتم فصله من وظيفته... فأنقذيه وأنقذي ابنتي واذكري أني لم أدخر وسعا في سبيل تحقيق رغبتك!

فنهضت أيفون مقطبة الحاجبين وقالت في خشونة:

-لا مال عندي الآن!

-ولكن الكارثة ستنقض علينا غداً!

-وماذا يهمني؟!

فارتجف ايفان وصاح قائلا:

-ولأي شئ ارتكبت أنا جريمة القتل إذن؟

فذعرت المرأة وتلفتت حولها ذاهلة ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها وقالت في هدوء:

-ماتت اميليا، وأنت الذي قتلتها، فافعل ما بدا لك..ستكون أنت الضحية إذا تكلمت... أما أنا فلن أدفع شيئا..

فغشي الدم عيني الطبيب واختلجت أعضاؤه كأنما قد

ساورتها حمى وقال وهو يلهث:

– يعز عليك الآن دفع بقية المبلغ؟

واقترب منها أيضا ولوح بذراعه وأردف قائلا:

–ولكن احذري!

وحدقت إليه تحديقا هائلا ثم اقتربت شفتاها عن ابتسامة محتقرة ثم قالت:

–لا أخشاك!

فوجم ولم يدر ما يقول فاستطردت هي قائلة :

–أنت جبان، ولولاي ما قتلت، ولن تستطيع مهما حاولت أن تصيبني بشيء!

قضم الطبيب أسنانه وأطرق برأسه لحظة ثم رفع عينيه إليها وتأملها طويلا ثم استدار، واتجه نحو الباب، وقبل أن يخرج التفت إلى أيفون، وانحنى أمامها باحترام، ثم نصب قامته وأرسل نفسا مستطيلا ودفع الباب واختفى.

وكان قد انقضي على وفاة اميليا ثلاثة أيام، وكان الصمت

الثقيل يخيم على البيت ولاسيما مخدع فلاديمير حيث كان الكهل ممدداً على فراشه لا يستطيع الحراك من جراء نوبة شلل عنيفة أصيب بها عقب موت ابنته ، وكان فيدور جالسا على مقعد بجواره مربد الوجه زائغ العينين مضطربا قلقا، يقلب بين يديه مجموعة التذاكر الطبية التي كتبها الطبيب ايفان لزوجته، ويتفحصها وهو يهز رأسه تارة ويطرق أخرى ويسترسل في تفكير عميق، وكان ايفان يعلم بوجود فيدور في مخدع فلاديمير في هذه الساعة فلم يكد يختفي عن بصر المرأة حتى اخترق البهو الكبير ثم هبط الحديقة ثم ارتقى السلم المؤدي منها إلى مخدع فلاديمير.

وتلفت فيدور مندهشا فأبصر نفسه أمام ايفان وجها لوجه، فضم أصابعه على التذاكر الطبية ونهض لفوره متجهما ولم يستطع بالرغم منه أن يحيي الطبيب وعندئذ تقدم ايفان بخطى ثابتة وأومأ إلى التذاكر وقال بصوت مرتعش!

–فيدور.. إنك تشك في!

فصمت فيدور وهو يعبث بالأوراق، ولما خطا نحو الطبيب وهم بالكلام، قاطعه ايفان بصوت حاسم قاطع قائلا:

–وأنت على حق!. فأنا.. أنا قتلت اميليا!

فصعق الشاب وجمد واشرأب فلاديمير بعنقه وجحظت عيناه، وتوثقت عقدة لسانه، فجعل يختلج ويرتعد ويلوح بذراعه المشلولة ويجيل في ايفان بصره الشارد، وعندئذ أفاق فيدور وانقض على الطبيب وأمسك بكتفيه وطفق يهزهما ويردد قوله:

-أنت؟.. أنت؟.

فأجاب الطبيب مدفوعا بقوة لا تقاوم:

-نعم، قتلتها ولكن بإيعاز من أيفون!

ففغر فلاديمير فاه وحاول أن يصرخ ولكن الصرخة اختنقت في صدره، فأخذ يتلوى ويئن، أما فيدور فقد أدرك في لحظة كل شئ، تحقق ظنه وأيقن أن هذا هو انتقام عشيقته القديمة التي أعرض عنها، فهاله الجرم وأيقظ فيه كوامن حبه لاميليا وبغضه لايفون، فصاح قائلا:

-هي التي أوعزت بالقتل..هي؟..

وعندئذ فتح باب المخدع فجأة وبرزت منه أيفون تائهة العينين محولة الشعر وقالت:

-نعم. أنا التي أوعزت!

وتقدمت إلى زوجها فلاديمير الذي كان قد انكمش في فراشه وتجمد كميت، وأشارت إلى الشاب وأردفت قائلة:

-أوعزت بقتل اميليا لأن فيدور أحبها ولأنه كان عشيقي!

فارتعد فيدور وأغمض فلاديمير عينيه وعض على شفته، ولكن أيفون استطردت قائلة:

-لا فائدة الآن من الإنكار! الطبيب الجبان تشجع بغتة وغامر بكل شئ واعترف، ما كنت أظن أن ايفان يغامر بسمعته ومستقبل ابنته في سبيل الانتقام مني. ولكنه انتقم، انتقم لأني قبضت يدي عنه وأبيت إعطاءه بقية المبلغ الذي اتفقنا عليه ليزوج به ابنته. أبيت إعطاءه إياه ولم أكد أحصل عليه منك أمس يا فلاديمير حتى أسرعت فابتعت به معطفا من الفراء كان قد أعجبني!..

وابتسمت ابتسامة متشنجة بلهاء وغمغمت تقول:

-هذا المعطف أفسد كل شئ!..

وصمتت وهي تلهث، وسرح فيدور ببصره في أنحاء الغرفة ولم يدر ماذا يجب أن يفعل، وظل ايفان ثابتا في مكانه كصنم،

وفي تلك اللحظة تحرك فلاديمير واستوي على فراشه ورمق زوجته، ثم تحسس وسادته ودس يده تحتها وانتزع المسدس برفق، وقدمه إلى أيفون وهو ما يزال يحدق إليها. فانتفضت المرأة وتراجعت وحينئذ تمكن فلاديمير من النطق بهذه الكلمات:

–سيسلم ايفان الساعة نفسه للبوليس، سيعترف بكل شئ. والموت هنا خير لك من الفضيحة والسجن هناك!

فمدت المرأة ذراعها المرتعشة وتناولت المسدس، وفي تجلد وسكون وامتثال، خرجت من المخدع دون أن تفوه بكلمة. وإذ ذاك قال الطبيب وهو يفتح الباب المؤدي إلى الحديقة:

–هذا هو القدر، وسأكفر عن ذنبي أنا أيضا!..

وفي تلك اللحظة غربت الشمس وغاب قرصها الأحمر وراء الأفق وخيمت الظلمة على المخدع فاستأنس بها فيدور، واطمأن لانصراف ايفان وأراد أن يعرب عن حقيقة نفسه، وعن حبه العظيم لاميليا، وعن مبلغ الندم الذي يشعر به لخيانة الرجل الذي أحسن إليه، فتقدم نحو فلاديمير بخطى وئيدة وجثا عند قدميه، ولكن المريض اختلج وانكمش، فجاشت عواطف فيدور وانهمرت الدموع من عينيه، فتنهد فلاديمير وبالرغم منه

مد ذراعه وجعل يمسح بأصابعه رأس فيدور وهو يبكي وعندئذ دوى الطلق الناري، فصحا الرجلان وأدركا أن حياة أيفون قد انتهت!

الثمرة المنشودة

للكاتب الانجليزي/ موريس لبكوك

عصفت الهموم بدوروثي ، وجثمت على صدرها وجعل من ذهنها مسرحا لأبشع الخيالات؟

هي لا تريد أن تصارح نفسها بحقيقة الأفكار الغريبة التي تسري في عقلها كالأشباح، لا تستطيع أن تتهم أحب الناس إليها. ليس في مقدورها أن تقطع وتجزم وتسلم بأن الخواطر التي تتراكض في ذهنها، هي مجموعة حقائق اختطفها بصرها منذ أيام واستقرت آخر الأمر في محيط نفسها..

لمحت عينها الذكية بعض الابتسامات وبعض النظرات والإيماءات، ولكن هل يدل ذلك على شئ؟ وهل في استطاعتها أن تتخذ منه برهانا ساطعا على أن في تلك الصداقة خيانة وغدرا؟.. كلا.. إن ابتسامة الصداقة تشبه ابتسامة الحب، وحركات الدلال تشبه حركات الفتنة، ونظرات العطف تشبه نظرات العشق .. لا..لا...الحياة غريبة المظهر، والصور فيها تضطرب وتختلط، وما نعتقده شراً قد يكون خيراً، ليس في الأمر

خيانة ولا غدر ولا جريمة، هي صداقة طاهرة بريئة ألفت بين قلبين مخلصين صادقين..

ومع ذلك فدوروثي تتألم.. لا تستطيع طرد الشبح المروع الذي يقض مضجعها ويحرمها لذة الراحة في هذه الساعة الرهيبة التي لا تنشد فيها أكثر من السكون.. إنها تتألم، ويرزح رأسها الصغير تحت وطأة أفكارها ويكافح الصداع والدوار دون جدوى.

كل قواها يجب أن تتجه صوب الحياة التي سوف تنبثق منها، ولكنها تتوزع وتضيع في تصورات وخيالات تضنيها، وتنهك بدنها المشوه المنتفخ العليل، يا لبدنها من هذا التشويه الذي أفقده نضارته، وأحاله هيكلا دميما تنفر منه الأنظار ويبعث الرعب في القلوب.

ألا يكون هذا المظهر المشوه، هو الذي صرف بصر «جيمس» عنها، ودفع به إلى امرأة أخرى،

لم لا؟ الرجال يسعون وراء الخفة والجمال.. لا صبر لهم على المرأة، ولو أن دوروثي لم تصبح شوهاء دميمة، لكان قرينها جيمس قد أصابه مس من جنون!

عاش مع دوروثي عشر سنوات، ولم يعقب خلفا، لم يمتع

بمشاهدة طفل يصيح ويمرح في أرجاء البيت، ولم تهبط عليه نعمة الأبوة التي طالما التمسها من الله تارة ومن الأطباء تارة أخرى. وكان لدى جيمس ثروة واسعة وضياع وأملاك. وكان وحيداً في هذه الدنيا، توفى والداه ومات أشقاؤه جميعا وتاقت نفسه إلى مخلوق ذكر يرث اسمه وماله، ولشد ما تعذب جيمس طول تلك العشر سنوات، لا يكاد يبصر طفلا حتى ينقبض فؤاده ويحس أن صدره يتمزق، ولا يكاد يلمح أبناء الجيران حتى يسرع إليهم ويحملهم بين ذراعيه ويوسعهم ضما وتقبيلا حتى يرتوي، وكان لفرط تعلقه بالأطفال يجمع صورهم من الصحف والمجلات ويزين بها مخدعه ويظل واقفا يتأملها بعين ساهمة..

وكانت دوروثي تتعذب لعذابه، وتشعر بالمهانة يقينا منها أن الذنب ذنبها وأنها امرأة عقيم

على أن زوجها لم يفكر لحظة في طلاقها، كان أكرم وأنبل من أن يحملها وزر الطبيعة، فينفصل عنها دونما ذنب ارتكبته. ولكن هذا الخلق الكريم ضاعف ألمها، فكانت تعيش منطوية على نفسها، تكظم حنقها تخفيفا عن زوجها وتلطيفا لعذابه ومعاونة له على احتمال حكم القدر،

وكانت راشيل زوجة ابن عمها تكثر من زيارتهما وتحمل إلى

دارهما المتجهمة، شبابها الناضر، وابتسمتها المرحة، فكان جيمس يأتنس بها ويطيل التحدث إليها، ولم تتبرم دوروثي براشيل يوما. بل ارتاحت إلى صداقتها لزوجها، كانت سعيدة بهذه الصداقة العائلية البريئة وبما تحمل إلى قلب جيمس من مرح، فشجعت عليها واتخذت من راشيل صديقة حميمة جعلتها موضع سرها،

غير أن المرأة حيال المرأة لا تستطيع إلا أن تكون متيقظة العقل مفتحة العينين...

وكذلك كانت دوروثي، فخيل إليها أن صداقة راشيل لزوجها تتطور، وأن في نظراتهما ما يثير الشكوك، كانت تتعلق بزوجها جهد استطاعتها وتود أن تقدم إليه الطفل الذي لم تشك لحظة في أن الله سوف ويرسله إليها يوما... وها هو الله العالم بشقائها يلبي سؤالها في النهاية ويوقظ نفسها على الفرح ويملأ صدر زوجها بنشوة الأبوة ولكن فرحها العظيم قد عكر صفاءه انتفاخ تقاطيعها وتكور بطنها ودمامة وجهها، وهذا المظهر الفظيع الذي لا تكاد تقع عليه عين زوجها حتى تجفل وترتد ثم تستقر على راشيل أو لن تفارقها هذه المرأة؟ إنها هنا!. في بيتها!. في صحبة زوجها، جاءت لتعنى بها وتسهر عليها أيام وضعها، ها هي ذي تنتقل في أنحاء الدار، وتعمل وتخدم وبيدها زجاجات الدواء، والابتسامة الهادئة لا

تفارق محياها، وها هو جيمس يقهقه قهقهة طويلة وهو لا يصدق أنه قد أصبح والداً بعد عشر سنوات قضاها في الحيرة والقلق والتحرق على ولد، وها هي ذي دوروثي مستلقية على فراشها تحدق إليهما ولا تستطيع أن تتصور أنهما يخدعانها .

وكانت الليلة شتوية، والبرد قارس، والريح تزأر في الخارج، وتلطم النوافذ، فأحست دوروثي برودة تسري في أعضائها وقشعريرة تتولاها، فجذبت لحافها وتدثرت به وعينها المتنبهة نصف المغمضة تحدق إلى زوجها وتلاحق راشيل، وعندئذ سمع في الخارج دوي مروع، وكأن قطعا هائلة من الحديد تتدحرج، ثم انهال المطر غزيراً صاخبا، فذعرت دوروثي وتملكها الرعب وانكمشت وحجبت نفسها باللحاف وغاب جسمها تحته وحف بها وبالحجرة صمت لم يعكره غير وقع المطر المتساقط على النوافذ وحواجز الشرفات.

واستشعرت دوروثى كأن خطى تتباعد، وخيل إليها أن زوجها وراشيل اعتقدا أنها نامت فانصرفا عنها في سكون، فابتسمت وأغمضت عينيها، واحتواها الصمت الزاخر بهمهمة الريح ووقع المطر.

وانقضت فترة والصمت كما هو، لم يخالطه في البيت صوت ولم

يشوش عليه أي همس أو حفيف

فاستغربت دوروثي هذا السكون العاصف واهتاجت أعصابها، وتقلبت في فراشها، ثم مدت يدها ورفعت الغطاء عن وجهها، وأجالت بصرها في فضاء الغرفة، همت أن تنادي زوجها، ولكن عينها جحظت فجأة واختنقت الكلمة في صدرها، فقد لمحت جيمس، في أقصى الحجرة، بجوار الباب الأيمن، منزوياً خلف مصراعه، يطوق بذراعه خصر راشيل، ويدنيها منه، ويقبلها قبلة نهمة،

تصبب العرق من جبهة دوروثي وكف قلبها عن الخفقان، وطوحت الصدمة بها، فتحركت واستوت على فراشها، ثم تمالكت أعصابها واستجمعت قواها وسددت بصرها إلى الباب، فلم تبصر شيئا، لم تر للشبحين أي أثر، فجن جنونها، واستولى عليها حنق هائل، ونسيت نفسها والحالة التي هي فيها وأوامر الطبيب، وألقت عنها غطاءها..

وفي سرعة غادرت الفراش، وانطلقت نحو الباب، تتعثر بأطراف ثوبها فتستند إلى الحائط، وتتعثر بأثاث الغرفة فتركله، حتى وصلت إلى الباب، ولما لم تجد أحداً وأبصرت نفسها تجاه الدهليز الطويل المظلم، ضغطت على الزر، فاستضاء المكان، وسرعان ما

وقع بصرها على منديل سقط على الأرض سهواً بجوار الباب، فالتقطته وأنعمت النظر فيه وإذا به منديل راشيل، فتعاقبت أنفاسها، وأوشك الدوار يهوي بها، ولكنها واصلت السير واجتازت الدهليز وهي تلهث، وعند ما بلغت مخدع زوجها ورأت بابه موصداً أمامها، رفعت قبضتيها وانهالت ضربا على الباب فانفتح وأطل منه جيمس مستنكراً مستهولا مذعوراً، فلما أبصرته وحدقت إليه وشاهدت ارتباكه واضطرابه، تراجعت وحجبت وجهها بيدها ثم صرخت صرخة هائلة ودفعت إليه بالمنديل وسقطت على عتبة الباب مغشيا عليها!

وفي صباح اليوم التالي اجتمع جيمس وراشيل وبعض الجارات حول دوروثي، وكان قد جاءها المخاض قبل الأوان، فوضعت أمام عيني زوجها الطفل الذكر الذي انتظره عشره أعوام، مغلق الفم، هامد العينين، أشبه بقطعة لحم باهتة منفرة، حتى اخترق الألم صدره كطعنة سكين، فأشاح ببصره، وفر من الحجرة لساعته، وقد علم علم اليقين أنه هو الذي قتله!

طوبى للبسطاء

للكاتب الفرنسي / أناتول فرانس

كان يعيش في فرنسا بهلوان فقير يدعى برنابا، وكان من عادته التنقل في المدن والقيام أمام الجماهير بحركات بهلوانية تنم عن مهارة، وفي أيام السوق، يبسط في الميدان العام سجادة قديمة وبعد أن يبذل قصارى جهده في جذب الصبيان إليه بألفاظ فكهة أخذها عن بهلوان عريق، كان يقوم بألعابه فيتخذ أوضاعا مختلفة، ويرفع فوق أنفه طبقا كبيراً بحيث يظل الطبق في أثناء اللعب ثابتا لا يتحرك. وكان الجمهور ينظر إليه غير مكترث. ولكنه عندما كان يستند إلى يديه ويقذف في الهواء ست كرات من المعدن ثم يتلقفها بقدميه، أو عندما يلقي برأسه إلى الوراء حتى يلمس بقفاه كعبيه ويستحيل جسمه إلى دائرة كاملة وتأخذ يداه بتحريك اثنتي عشرة سكينا ويقذفها في الهواء، كانت تتصاعد من الجمهور غمغمة أعجاب، ثم تتساقط قطع النقود على السجادة البالية كالمطر.

وكان برنابا كجميع الفنانين الذين يعيشون من فنهم فقيراً، ولم يكن في مقدوره أن يظهر نبوغه إلا في الصيف تحت وهج الشمس

وضوء النهار، أسوة بالأشجار التي لا تعطي ثمارها إلا في الصيف أيضا..أما في الشتاء فكان يشبه شجرة جردت من أوراقها وشارفت الموت. وكانت الأرض المغطاة بالجليد تعوقه عن العمل، فكان يتألم من البرد والجوع .

ولم يفكر برنابا أبدا في الثروة وكيف تنشأ، كان يعتقد أن هذا العالم إذا كان فاسداً فلابد أن يكون العالم الآخر صالحا، فقد كان رجلا صافي النية، لا يشتهي امرأة جاره على الرغم من أنه لم يتزوج. وكان بطبيعته ينفر من النساء لاعتقاده أن المرأة عدوة الرجال الأقوياء كما يبدو ذلك في التوراة في قصة الجبار شمشون ومحبوبته دليلة، والواقع أن ذهن برنابا لم يكن متجها نحو الملذات الحسية، برنابا كان رجلا صالحا تقيا يخاف الله ويمجد العذراء مريم ويتخذها شفيعا له وكان من عادته كلما دخل إحدى الكنائس، أن يجثو أمام صورة العذراء ويرفع إليها في حرارة هذه الصلاة: «يا سيدتي، تقبلي حياتي في رعايتك إلى أن يأذن الله بموتي، ومتى قضيت متعيني بما في الجنة من نعيم »

وذات مساء، بعد يوم مطير، بينما كان برنابا راجعا من السوق حزينا، حاملا تحت إبطه كراته وسكاكينه في سجادته البالية، يبحث عن نزل للنوم فقط ولا يقدم فيه طعام عشاء،

أبصر في طريقه أحد الرهبان فانحني وحياه باحترام، ولما كان الرجلان يسيران في اتجاه واحد، أخذ يتجاذبان أطراف الحديث. فقال الراهب:

–أيها الرفيق، ما بالك مرتديا هذا الثوب الأخضر.. أتكون ذاهبا للتمثيل في رواية دينية؟

فأجاب برنابا قائلا:

– لا يا أبت! أنا ادعي برنابا وحرفتي بهلوان وهي أجمل حرفة في العالم.

فقال الراهب:

– يا صديق برنابا إن أجمل حرفة في العالم هي أن تكون راهبا، فنحن نمجد الله والعذراء والقديسين، وما حياة الراهب إلا أنشودة دائمة يرفعها إلى أعتاب الله.

– يا أبت، إنني تكلمت كرجل جاهل! إن حرفتك لا يمكن أن تقاس بحرفتي، ومهما يكن لي من فضل وأنا أرقص حاملا فوق أنفي قطعة نقود مثبتة فوق عصا، فهذا الفضل لا يمكن أن يداني فضلك. وإني لأود يا أبت أن أكون مثلك، ولو أني استطعت أن احترف حرفتك وأصبح راهبا مثلك، لما ترددت في توديع فني،

الذي اشتهرت به في ستمائة مدينة وقرية.

أثرت بساطة البهلوان في نفس الراهب، وكان رجلا ثاقب النظر، فأيقن أن برنابا من عباد الله الصالحين وقال له:

– اتبعني يا برنابا. سأدخلك الدير الذي أعيش فيه، فقد اصطفاني الله لهدايتك.

وهكذا أصبح برنابا راهبا، وأبصر في الدير كيف يمجد الرهبان العذراء. فبعضهم يضع الرسائل عن فضائلها، وبعضهم يرسم لها صوراً بارزة، وآخرون يصورونها وحول رأسها هالة من نور وتحت قدميها أرواح الذين يبتهلون إليها راجين الشفاعة لهم عند الله كي يغفر خطاياهم، ومنهم من يمجد العذراء برسمها في شكل الزنبقة أو في شكل القمر أو الشمس، وكان منهم من ينحت لها تماثيل من حجر أو ينظم فيها الشعر.

ولما شاهد برنابا هذه المباريات في تمجيد العذراء عز عليه أن يكون جاهلا ساذجا، فكان يخاطب نفسه وهو يتجول بمفرده في حديقة الدير الصغيرة قائلا:

– يا لشقائي.. ليس في مقدوري أن أمجد العذراء بما هي أهل له من تقديس. إني لمخلوق خشن لا علم لي بأسرار الفنون، واني

لعاجز يا سيدتي العذراء عن أن أرفع إليك أمثال تلك الصلوات، وتلك الرسوم الفنية النادرة، لا أملك شيئا، واأسفاه!..

وكان برنابا يتبرم بحاله، ثم يستسلم للحزن العميق، وذات مساء بينما الرهبان يقضون فترات الراحة في السمر البرئ، طرق سمع برنابا صوت أحدهم يسرد حكاية راهب لا يعرف كيف يمجد العذراء إلا بالصلاة القصيرة المشهورة التي وضعت خصيصا لها، وكان الراهب محتقراً لجهله، وكان رفاقه يعيرونه، ولكنه عندما وافته المنية، انبثقت من فمه أربع زهرات ترمز إلى الحروف الأربعة المؤلف منها اسم مريم، وفي تلك اللحظة، اعترفوا بكراماته وآمنوا بقداسته.

هذه القصة أحدثت ابلغ الأثر في نفس برنابا، لكنها لم تكن كافية لتعزيته، فكانت حياته سلسلة شقاء متصلة غير أنه استفاق من نومه ذات صباح، أحس فرحا طارئا يملأ قلبه، فهرع من فوره إلى الهيكل ومكث فيه بمفرده ساعة ثم غادره وعاد إليه بعد الظهر أيضا.

وارتاح برنابا إلى ما اهتدى إليه، فكان يذهب كل يوم إلى الهيكل ساعة خلوه من الرهبان، ويمكث فيه جزءاً من الوقت الذي كان رفاقه يقضونه في ممارسة الفنون والأعمال اليدوية وزايل

برنابا حزنه ولم يعد يتبرم بالحياة، ولكن مسلكه الغريب أثار فضول الرهبان، فجعلوا يتساءلون: _ ما الذي يحمل برنابا على قضاء الفترات الطويلة في الهيكل؟..

وكان من واجب رئيس الدير أن يقف على كل ما يتعلق بسلوك الرهبان، فلفت نظره سلوك برنابا، فعزم على مراقبة خلواته في الهيكل، وذات يوم بينما كان برنابا منفرداً في الهيكل كعادته، أقبل رئيس الدير مصحوبا باثنين من شيوخ الرهبان، زنظروا من فرجات الباب فأبصروا برنابا تجاه مذبح العذراء مريم، ورأسه في الأرض وقدماه في الهواء يلعب بكراته الست وسكاكينه الاثنتى عشرة..كان يمجد العذراء على طريقته، واستهولوا ما وقعت عليه أعينهم، ولم يفهموا أنه يقدم أروع ما عنده للعذراء، وقالوا أن هذا هو الكفر بعينه!

غير أن رئيس الدير كان يعرف أن برنابا سليم النية، فاعتقد أنه ربما أصيب بمس من جنون، فتنحى وأشار إلى الراهبين بأن يتبعاه، ولكنهم في نفس اللحظة التي هموا فيها بالانصراف، أبصروا على دهش منهم، العذراء مريم، تهبط على مهل درجات المذبح، وتتقدم وترفع طرف ردائها الأزرق وتمسح به قطرات العرق المتساقطة من جبين البهلوان!

وعندئذ استضاءت بصيرة رئيس الدير، فخر على الأرض جاثيا، ومجد الخالق سبحانه وهو يغمغم قائلا:

–طوبي للبسطاء لأنهم يرون الله..

فأردف الراهبان العجوزان وهما يقبلان الأرض قائلين:

–آمين!

الفهرس

مقدمة ٥

– مأساة امرأة

للكاتب الإسباني/ رامون كالاسار ١٥

– شهيدة الخيال

للكاتب المجري/ هنريك رالف ٢٥

– في ليلة عاصفة

للكاتب الروسي/ مكسيم جوركي ٣٥

– السارقة

للكاتب الروماني/ أنطون مورينو ٤٥

– حلم ماهو

للكاتب البوسني / ز. تشورو فيتن......................٦٣

– العاشقة المفتونة

للكاتب الألماني/ جوزيف فون مولر......................٦٩

– بطولة أم

للكاتب النمسوي/ ستيفان برونشتاين ٨٣

ا– لانقلاب

للكاتب البولندى/ انطون سيكورسكي ٩٧
– الثمرة المنشودة
للكاتب الانجليزي/ موريس لبكوك ١١٧
– طوبي للبسطاء
للكاتب الفرنسي / أناتول فرانس ١٢٥